دكتورة
نوال عبد العزيز مهدي راضي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة القاهرة - الخرطوم

٥٩٠٠٠
دار المعارف

رياح الشمال

دراسة في العلاقات المصرية - السودانية في التاريخ الحديث والمعاصر

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

دكتورة
نوال عبد العزيز مهدي راضي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة القاهرة - الخرطوم

رياح الشمال

دراسة في العلاقات المصرية - السودانية في التاريخ الحديث والمعاصر

١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

المطبعة التجارية الحديثة
ت ٩٠٣٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

صدق الله العظيم

رياح الشمال

اذا كان من قدر منطقتنا عامة ، وبلدينا — مصر والسودان — خاصة ، أن تكتنفها من الأحداث والحوادث ، ما تختلف فيه وحوله الرؤى والآراء ، وهذا أمر طبيعي .....

فان من حق كل فرد أن يبدى رأيه . فليست هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تكبل عقل الانسان ولسانه . ونحن كمسلمين سنظل كما قال الله سبحانه وتعالى فينا « وأمرهم شورى بينهم » صدق الله العظيم .

فاذا كان لمصر الرسمية موقف معين ، فليس من حق من يعارض هذا الموقف أن يجرح أبناء مصر ، ويشوه دورهم فى السودان . فهؤلاء ... الذين قالوا ان مصالح مصر تتعارض مع مصالح السودان واهمون . فما تعارضت مصالح البلدين فى يوم من الأيام . ذلك أنه « لن تجد شيئا تتأثر به مصر لا يتأثر به السودان ، وما من شيء يصيبها من خير أو شر الا أصاب السودان منه سهم . علاقة عضوية جدلية فى الحياة والفكر والدم »[1] . وكذلك فان هؤلاء الذين طالبوا برفع اسم مصر عن جامعة القاهرة بالخرطوم ، وتسميتها بـ « جامعة الكرامة » واهمون . فقد أدت مصر وجامعتها بالخرطوم دورها ، ومازالت تؤديه ، بأمانة وكرامة وهو أمر لا ينكره العدو قبل الصديق . ورحم الله التيجانى يوسف بشير حين قال :

كيف يا قوم نباعد من فكرين   شدا وساندا البعض أزرا ؟

كلما أنكروا ثقافة مصر   كنت من صنعها يراعا وفكرا

ثم يوجه حديثه الى مصر فيقول :

---

(١) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى بين مصر والسودان ص ٤

وثقى من علائق الأدب البا | قى ولا تحفلى بأشياء أخـرى
وقفى بالصلات فى حيث لاتعر | ف الا مسـالك الفكر مجـرى
كل ما فى الورى عدا العـلم | لا يكبر شعبا ولا يمجد قطرا

واذا كنت قد اخترت لهذا المقـال عنوان « ريـاح الشمال » ، فالسبب أن العـديد من الوثائق البريطانية قد حفلت به . وهو تعبير قصدت به « حكومة السودان » — بعد اعادة فتحه — كافة المؤثرات القادمة من مصر . وكيف عملت بكل طاقتهـا وجهدها ، وما تملك من وسائل للقضـاء عليها ، أو الحيلولة دون وصولها .

لكن حكومة السودان لم تنجح يوما ما فى صد رياح الشمال . فمـا بين البلدين من أواصر قربى ، وصـلة رحم ، ووحدة فى الدين واللغة ، حالت دون ذلك . وظـل السودان يتطلع الى مصر ، وظلت مصر تتطلع الى السودان ، تؤثر فيـه ، ويؤثر فيها . ويعلل الأستاذ البربر ذلك بقوله : « لقـد كان على السودان فى أعمـاق التـاريخ القصوى ، وعلى هذه الضفاف الخضر ، وعلى الروابى الغمـر ، أن يتطلع ، بقلبه وفكره ، الى الشمال النابه ، كمـا يتطلع العابد الساجد الى محرابه ، وأن يتلفت اليـه لفتة الأمل فى قلب العاشق المحموم ، والسعادة فى خيـال اليائس المحروم . فتوافدت طـلائع الشباب ، ورواد الجيـل يطلبون العلم وينشدون المعرفة ، ويصلون عن طريق الفكر ما استعصى فصمه على الزمن ، واستكبرت أسبابه على وسائل الفتن ، من أنساب واشجة ، وأرحام دانية ، ومعـان حية قائمـة ، وحقـائق ناطقة دائمة ، فوجدوا من مصر ما يجد راكب الصحراء من الواحـة السمحة الخضراء : ظل رطب ، وأمن عـذب ، وما شئت من حنان وحب ، ومن كرم نفس وقلب . وانها لمصر .. حيـا الله مصر ، سليلة النيـل الجواد ، وابنـة الفراعين ذى الأوتاد ، ربيبـة العرب الأمجـاد ، مازالت ولاتزال كعبة القصـاد ، ومنها الرواد »(٢) .

---

(٢) السودان الجديد عدد أول مارس ١٩٤٦ « كلمة الأستاذ على البربر عند افتتاح بيت السودان بالقاهرة » .

فاذا ضربنا فى القدم ، وذكرنا الأدلة على ذلك ، نجد أن أول نهضة أدبية ظهرت تحت سماء السودان يرجع تاريخها الى ما قبل الميلاد ، عندما كانت ترسل البعوث العلمية من « مروى السفلى » ، الى مدرسة ألاسكندرية يومئذ فى عهد الفراعنة . ثم استقدموا بعد ذلك بعض المدرسين المصريين الى مروى ، حتى أمكنهم بجهودهم المتواصلة أن يقربوا بين الروح المصرى والسودانى ، فى ثقافة ، ان لم تكن واحدة ، فما هى بمتمايزة فى الكثير الغالب منها ، حسبما دلت على ذلك آثارهم بالخط الهيلوغرافى فى جبل البركل والبجراوية »[٣] .

بعد ذلك ، كان دخول المسيحية الى السودان عن طريق مصر أيضا ، وليس عن طريق الحبشة . وذلك على الرغم من أن المسيحية دخلت الحبشة منذ حوالى سنة ٣٣٠م ، وأن النوبة السفلى صارت مسيحية ، بعد ذلك التاريخ بنحو قرنين من الزمان . لكن انقطاع صلات المودة بين المملكتين المسيحيتين ، ونقصد الحبشة والنوبة السفلى ، حال دون أن تنتشر المسيحية فى دنقلا (النوبة السفلى) . ومن دنقلا (دنقلة) وصلت المسيحية حتى سنار ، وانتشرت الكنائس والأديرة ، على ضفاف النيل ، وفى جزيرة مروى ، وعلى جانبى النيل الأزرق . وكان مطارنة النوبة يرسلون اليها من قبل بطريق الأقباط فى مصر[٤] .

وما كاد يمضى قرن على دخول المسيحية فى بلاد النوبة بصفة رسمية ، حتى كان الاسلام على أبواب مصر . وكان طبيعيا ، بعد أن دخل المسلمون مصر ، أن ينساب الاسلام من مصر الى النوبة ، خاصة بعد « اتفاق البقط » الذى عقده عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، والى مصر ، مع ملك النوبة المسيحى عام ٣١هـ (٦٥٢م) ، والذى جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى

(٣) محمد عبد الرحيم : محاضرة عن العروبة فى السودان ص ٤٩
(٤) عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان جـ ١ ص ١٥

سرح ، لعظيم النوبة ، ولجميع أهل مملكته • عهـد عقـده على الكبير والصغير من حد أسوان الى حد أرض علوة ، أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا ، وصدقة جـارية ، بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر ، وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة »(٥) •

بهذه المعاهدة فتحت النوبة ، التى عرفت بعزلتها الشديدة — على مصر الاسلامية • فدخل الكثير من أبنائها فى الاسلام فى هدوء ويسر ، ودون عنف أو اكراه • وقد ساعد على ذلك سماحة الاسـلام وتخلق معتنقيه بآدابه ، ووجود العديد من القبائل العربية فى هـذه المنطقة • وكان معظمها قد هاجر الى السودان من صعيد مصر ، حتى بلغوا حدود البجة ، وحدثت بينهم وبين السكان حروب كثيرة ، وكان النصر فيها حليف العرب الذين أوغلوا فى وادى النيل ، وكثرت بهم العمارة »(٦) •

وعلى هذا ، فالروابط بين القطرين ، كما يقول الأستاذ محمـد عبد الرحيم « ليست هى فقط مـا نتغنى به من الجوار ، ولصق الدار بالدار فالعرب فى السودان يمتون اليكم برابطة الرحم • اذ الكل هنـا وهناك يرجعون الى أصول عربية معروفة • فجهينة بالسودان • وهى هنا بمركز فاقوس وشبين القنـاطر وأسيوط • وقريش هناك وهنا فى بلبيس وفاقوس بالشرقية والسنبلاوين وكفر الشيخ والجيزة والمنيا • وفزارة — وهى بنو جرار — بالدويم ، وفزارة بدارفور ، وهى هنا بمركز سنورس وملوى بأسيوط ، والواسطى ببنى سويف • وبنو أميـة — ويعرفون بالفونج — هناك وهنا بالضعفاء ، وفى بنى سويف والغربية

---

(٥) المقريزى : الخـطط المقريزية ج ١ ص ٣٢٣ .

(٦) محمد عبد الرحيم : محاضرة عن العروبة فى السودان ص ١٦ « القيت بالقاهرة يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٥ ، ط. المطبعة التجارية الجديدة بالخرطوم . وانظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان .. الحـديث ص ١٦

والمنوفية • وبنو سليم فى النيل الأبيض ، وفروعهم بالشرقية والفيوم وسمالوط والمنيا والجيزة ومريوط وأسيوط »[٧] •

ويسوقنا حديث الروابط بين البلدين ، الى القول بأن السودان عبر تاريخــه الطويل ، كان يتصل بالبحر والتجــارة العالميــة عن طريقين رئيسيين :

الأول : ويتبع وادى النيل شمالا الى مصر ثم البحر المتوسط •

الثانى : نحو الشرق الى البحر الأحمر ، ثم أعالى البحار فيما وراءه شمالا وجنوبا •

وعلى الرغم من أن الطريق الأول أطول نسبيا ، وتعترضه عقبات الجنادل ، وأخطار المرور فى عهود الاضطراب السياسى ، الا أنه كان — مع هذا كله — النافذة الرئيسية التى أطل منها السودان على العالم فى العصور القديمة والوسطى وصدر العصور الحديثة[٨] •

ففى مصر قامت أسواق تتوافر فيها السلع الاوربية ، ومن الممكن أن يتم فيها تبادل بين الانتاج المدارى الاستوائى ، والانتاج المعتدل الدافىء ، وما وراءه شمالا ، وأن يحصل السودان على المصنوعات وأن يبيع انتاجه ، ولازالت بقية مصنوعاته المحلية من هذه الطرق القديمة ، تنبض بالتجارة فى الصحراء الشرقية ، وعلى طول النيل ، وفى قوافل الصحراء الغربية[٩] •

---

(٧) محمد عبد الرحيم : نفس المرجع ص ٦٨ — ٦٩

(٨) عبد العزيز كامل : فى ارض النيل ص ١٥١ وضرار صــالح ضرار تاريخ السودان الحديث ص ١٧

(٩) عبد العزيز كامل : المرجع السابق ص ١٥١

ولما قامت دولة الفونج الاسلامية[١٠] سنة ١٥٠٥م ، زادت هذه الروابط متانة • فرحب ملوكها بعلماء الأقطار الاسلامية ، وأعلوا من قدر الفقهاء والعلماء • وكان لمصر وابنائها دور كبير فى تلك الفترة ، سواء أكان ذلك بقدوم العلماء المصريين أو برحلة السودانيين للتعلم فى الأزهر الشريف بمصر[١١] •

وكان الشيخ محمود العركى من أوائل السودانيين الذين درسوا فى مصر بالجامع الأزهر • يقول عنه صاحب الطبقات « انه أول من أقام شرع الله فى السودان ، لأنه علم الناس العدة • فقد كان الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهارها من غير عدة[١٢] » • وقد تتلمذ الشيخ محمود العركى فى مصر على شيخين من أعلام شيوخ الأزهر المالكية حينذاك وهما شمس الدين اللقانى ، وأخيه ناصر الدين اللذين أشتهرا بالعلم والتقوى والصلاة والزهد فى الدنيا[١٣] » •

---

(١٠) أحمد كاتب الشونة : مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية . نشر الشاطر بوصيلى ومراجعة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٦١ . وقد نشر مكى شبيكة المخطوطة بعنوان تاريخ ملوك السودان .

وكاتب الشونة هو أحد موظفى الديوان العام بالخرطوم حتى عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) . وقد انتهى من كتابة هذا ، بعد هذا التاريخ (١٢٥٠هـ) بأربع سنوات . وقد ولد فى قوز المسلمية ، الواقعة بالقرب من بلدة المسلمية ، بين واد مدني والحصاحيصا فى سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤/١٧٨٥م)

Paul, A., : Some Aspects of the Fung Sultanats. S.N.R.XXXV. 1945 + Henderson ; K.D.D. Fung Origines». S.N.R. XVIII, Part I, 1933, & Nadler, L. F. : «Fung Origines». S.N.R. XIV, 1931.

(١١) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ٥٧ وضرار ص. ضرار : المرجع السابق ص ١٨ و

Burckhardt, J.L. :
Travels in Nubia, London, 1819 + Bruce, J. : Travels to Discover the Source of the Nile in the Years 1768 — 73 (2 nd. Ed. 1805).

(١٢) ود ضيف الله : الطبقات ص ٦ (تحقيق يوسف فضل) ومخطوطة كاتب الشونة تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية ص ٥

(١٣) عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان ج ١ ص ٥٨

وفى عهـد الشيخ عجيب المانجليك(١٤) ، حضر من مصر الشيخ ابراهيم البولاد ، وكان تفقهـه فى الدين على يد الشـيخ البنوفرى المصرى ، الذى كان يلقب بأمام المالكية فى مصر • علاوة على ذلك درس الشيخ ابراهيم بن جابر أصول الفقه والنحو على يد العديد من شيوخ الأزهر(١٥) • وقد أقام الشيخ ابراهيم فى جهة دنقلة ، يدرس مختصر خليل المالكى ، ببلاد الفونج ، وانتفع به خلق كثير ، فشدت اليه الرحال ، وعلم فى مدرسته أربعين انسانا(١٦) •

كما قدم من مصر الشيخ القناوى المصرى ، الذى دخل سـنار وأربجى ، ثم رجع الى بربر ، وأقام فيها ، وبنى مسجدا هناك • وقام فيه بتدريس الفقه والعقائد والنحو وسائر العلوم • وولى القضاء وباشره بعفة وأمانة ، وكان من تلاميذه محمد بن عيسى سوار الدهب(١٧)

وفى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ، قدم من مصر الشيخ محمد بن على بن قرم ، تلميذ الخطيب الشربينى • وقد استقر فى دار بربر ، وجلب معه المذهب الشافعى ، الذى لم يكن معروفا فى السودان من قبـله • كما يذكر صاحب الطبقات أن الشيخ عيسى بن بشارة الأنصارى جاء الى السودان فى أوائل القرن العاشر الهجرى ، بعد أن أتم تعليمه فى مصر • وقد أقام فى ناحية « كترانج » حيث يقيم

---

(١٤) وهو عجيب الكافوتة بن عبد الله جماع ، الذى خرج على الملك عدلان ولد آية (١٦٠٥ — ١٦١٢ م) ، وأعلن استقلاله بامارة قرى عن مملكة سنار • ويقال ان السبب فى ذلك هو ادخال الملك عدة تعديلات على بعض التقاليد والعادات الفرعية • مما كان سببا فى التذمر بين العبدلاب • راجع أحمد كاتب الشونة ص ٨ — ٩

(١٥) عبد العزيز عبد المجيد : المرجع السابق ج ١ ص ٦٣ ومخطوطة كاتب الشونة ص ٥

(١٦) ود ضيف الله : الطبقات ص ٤و٥و١٠٨ • ويذكر أحمد كاتب الشونة أن أربجى خطت قبل سنار بثلاثين سنة ، خطها حجازى بن معين • وعلى هذا يتضح ان عمارة أربجى فى مدة الفنج • راجع ص ٤ من المخطوطة

(١٧) ود ضيف الله : الطبقات ص ٦ و ص ١٥٧ (ط• منديل) •

طائفــة من قبيلة رفاعــة ، وكانوا عربا بدوا فأسس مسجده فى تلك الجهــة ، ثم بنيت حــول المســجد القرية التى عرفت باســم قرية « كترانج »[١٨] .

كذلك ذهب من نسل الشيخ عيسى بن بشارة ، الشيخ « أحمــد البدوى » وابنه الشيخ محمد ، وأقاما لتحصيل العلوم بالأزهر مدة طويلة . وكان لهما أثر فى نشر العــلوم والمعارف الاسلامية بالسودان بعد عودتها[١٩] .

كما سافر الى مصر ، ثم الى الحجاز عمار بن عبد الحفيظ الخطيب، ودرس فيها العلوم الفقهية والعقلية والنقلية والتصوف والعربية ، ثم رجع الى السودان عام ١٠٨١م ، ومعه نحو رحلين أو ثلاثة من الكتب ، ثم جلس للتدريس بعد عودته من مصر[٢٠] .

واذا كان الأزهر الشريف قــد ظل صاحب الصدارة ، فى جميــع معاهد العلم ، فى بلاد الاسلام الى نهاية القرن التاسع عشر ، فقد كان طبيعيا أن يتأثر السودان بالنظام التعليمى ، الذى ساد مناهج الدراسة بالأزهر[٢١] .

لقد كان لمصر أكبر الأثر فى المدارس التى نشأت فى السودان فى تلك الفترة ، كمدرسة سوار الذهب بدنقلا ، التى جمعت بين الأثرين

---

(١٨) عز الدين الأمين : قرية كترانج وأثرها العلمى فى الســودان (معهد الدراسات الافريقية الآسيوية بالخرطوم — كراسة رقم ٩ عــام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م . وللمزيد عن الشيخ عيسى انظر : محمد عبد المجيد السراج : ارشاد السارى لتراحم آل عيسى بن بشارة الأنصارى . ط. مطبعة النهضة السودانية بالخرطوم ، ط. أولى ١٩٥٥ م .

(١٩) عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان جـ ١ ص ٢٢٣ ومحمد عبد المجيد السراج : نفس المصدر

(٢٠) ود ضيف الله : الطبقات وعز الدين الأمين : قرية كترانج ص ٣٨ وعبد العزيز عبد المجيد : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٢

(٢١) عبد العزيز عبد المجيد : المرجع السابق جـ ١ ص ١٣١ .

المصرى والمغربى • وكذلك جمعت مدارس المجاذيب بالدامر ، ومدارس أولاد جابر بين الأثرين المصرى والحجازى(٢٢) •

وفضلا عن ذلك ، فقد كانت مصر وعلماؤها هى مصـــدر الرؤية الصحيحة ، فى كثير من المسائل الفقهية التى شغلت العلماء فى شتى أصقاعهم(٢٣) •

وكانت العلاقات أقوى ما تكون بين البلدين ، فى عهد الملك بادى أبو دقن (١٦٤٣ — ١٦٧٨م) ، الذى كانت بينه وبين علماء مصر صلات حسنة • فكان يرسل لهم الهدايا مع خبيره حمد ولد عدلان(٢٤) • وقد عرفت مناقبه عندهم ، حتى أنهم مدحوه بقصائد عديدة ، منها قصيدة الشيخ عمر المغربى التى نقتطف منها ما يلى(٢٥) :

أيا ناهضـــا من مصر وشـــاطىء نيلهـــا
وأزهرهـــا المعمـــور بالعـــلم والذكر

لك الخير ان وافيت ســـنار قف بهـــا
وقوف محب وانتهـــز فرصـــة الدهر

وأهـــد ســـلاما عطر الكون نشـــره
ألـــذ من المـــاء المسلسـل والقطـــر

الى حضـــرة الســـلطان والملك الذى
حمى بيضـــة الاســـلام بالبيض والسمر

---

(٢٢) بشير كوكو : لمحات من تاريخ المجاذيب ص ٦٠ وعبد القادر محمود : الفكر الصوفى فى السودان ص ٥٦ ، جون لويس بوركهارت : الرحلة الى بلاد النوبة ص ٢٠٦ (ترجمة فؤاد أندراوس) •

(٢٣) ود ضيف الله : الطبقات وعبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان جـ ١ ص ٢٠٣

(٢٤) Paul : «Some Aspects of the Fung Sultanate. S.N.R., XXXV, 1954».

(٢٥) أحمد كاتب الشونة : مخطوطة كاتب الشونة ص ١٠ ونعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ٣٩٨ . ويذكر كاتب الشونة أن الشيخ المغربى كان مفتى الجامع الأزهر آنذاك . راجع المخطوطة ص ١٠

هو الملك المنصـــــــور بـــادى الذى له
مدائح قـــد جلت عن العـــد والحصر

وكم شاركت مصر السـودان أفراحهـا ، على عهـد الملك بادى أبو شلوخ ، عندما أعلن انتصار السلطنة الزرقاء (مملكة الفونج) على الأحباش[٢٦] ٠

ولما كانت الصـلة بين دارفور وسـنار ليست على مايرام ، بسبب صراع السـلطنتين لامتـلاك كردفان[٢٧] ٠ فان الحجـاج من دارفور كانوا يذهبون الى الحجـاز عن طريق مصر ٠ كمـا كان العديد من السـودانيين — من غير سـلطنة دارفور — يوثرون السـفر من مصر الى الحجـاز ، بـدلا من سـواكن ٠ والسـبب فى ذلك أن قافلة الحج المغربية ، ومعها قافلة حج السودان الغربى ، كانتا تنضمان الى قافلة الحج المصرية ، مما جعل لقافلة الحج المصرية أهميتها ووزنها ٠ فكان سكان السودان يتوجهون للحج عن طريق مصر ، ليجتمعوا بعلماء هذه البلاد وحجاجها ، وليحضروا سفر المحمل والموكب العظيم الذى يضم أكبر تجمع لحجاج أفريقيا ٠

وقد استمرت هذه الصلات الثقافية ، ونمت خاصة بعد الفتح المصرى سنة ١٨٢١م ٠ حيث انتظمت القوافل بين السودان وخارجه ٠ وأصبح من السهل على طلبة العلم أن يجاوروا فى الأزهر ، فى رواق خاص بهم يسمى « رواق السنارية » ، ثم يعودوا ليفقهوا قومهم فى الدين[٢٨] ٠

والجدير بالذكر ، أن محمد على باشا اعتبر الأقطـار السودانية جزءا من الأقطار المصرية ، تسرى فيها جميعا نظم واحدة ، ويجرى

---

(٢٦) احمد بن الحاج : مخطوطة كاتب الشونة (تاريخ ملوك السودان نشر مكى شبيكة بالخرطوم) ص ٢١ — ٢٢ ٠

(٢٧) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ص ٢٠

(٢٨) عبد العزيز عبد المجيد : التربية فى السودان ج ١ ص ٢٢٣

الانفاق عليها من خزينة واحدة • ومن الثابت أن مصر على أيامه قد أنفقت بسخاء ، لتعمير السودان ، وانعاش الحيـاة الاقتصادية به ، ولتعليم أبنائه وتشجيعهم بكل الطرق على السير فى ركب الحضارة[٢٩] •

وتقول حاجة كاشف بدرى « ان الغرض من ذلك التعليم هو تولى السودانيين العمل فى بعض الوظائف ، بدلا عن المصريين ، الذين يكلفون الدولة أموالا طائلة وذلك تخفيفا للانفاق على الادارة الحكومية[٣٠] •

كذلك عملت مصر على تدريب السـودانيين على حكم أنفسـهم بأنفسهم على أسـاس ما أسـماه المعـاصرون الأجانب ، الذين زاروا السودان وقتذاك ، « مبدأ اشراك العناصر الوطنية فى شـئون الحكم والادارة[٣١] » • ويقول الأستاذ محمد عبد الرحيم : « لولا تعسف جند الأمير اسماعيل ، الذى قاد حملة الفتح ، وبطرهم وكفرهم بما أفاء الله به عليهم ، لمـا حرق الأمير ونفر الناس[٣٢] » •

وكان للفتح المصرى أيضا فى عام ١٨٢١م السبق فى ربط جنوب السودان بالعالم الخارجى • وذلك من خلال اكتشاف منطقة السدود ، وكشف حقيقة أمرها • اذ أرسلت مصر — تحقيقا لما سبق — ثلاث بعثات بقيادة سليم قبودان[٣٣] ، ومـع ان تلك البعثات عادت أدراجها الى الخرطوم دون الوصول للمنابع الأصلية ، الا أنها تمكنت — لأول مرة فى التاريخ المعروف — من اختراق منطقـة السـدود ، وكشف حقيقة أمرها • كما أنها ، ولا شك ، تركت آثارها على المنطقة • حيث خلفت

---

(٢٩) محمد عبد الرحيم : محاضرة عن العروبة فى السودان ص ٦٩ هامش (١)

(٣٠) حاجة كاشف بدرى : وضع المرأة فى تاريخ السودان المعاصر ص ٦٠ (رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة القاهرة) ،

(٣١) محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان (١٨٢٠ — ١٨٩٩ م) ص ١٠

(٣٢) محمد عبد الرحيم : محاضرة عن عـروبة السـودان ص ٦٩ هامش (١)

(٣٣) م. فؤاد شكرى : المرجع السابق

بعض العـادات والكلمات ، وأسهمت فى فتح الطريق ، وربط الجنوب بالشمال ، خصوصا بعد انشاء ترسانة السفن والمراكب بالخرطوم ، التى وفرت ، للراغبين فى التوغل الأدوات ... المناسبة . لأن الأتراك أدخلوا طرازا جديدا من المراكب ، لم يعهده الأهـالى من قبل . كما أدخلوا السفن البخارية ، لأول مرة فى السودان ، وجلبوا منها أشكال وأحجام مختلفة للتجارة ، ونقل الركاب ، والاستكشاف[٣٤] .

لقد صار حوض النيل الى فاشودة وحـدة ادارية لأول مرة فى التاريخ[٣٥] .

لقد أدت المعلومات التى أذاعها سليم قبودان ، عن غنى السودان الجنوبى ، وخاصة سن الفيل ، الى تشجيع حكام السودان على ارسال الحمـلات التجـارية السنوية ، لجلب ما يمكن جلبـه من الحاصلات الحيوانية والنباتية لتلك المناطق . مما مهد لحركة التجارة الأوربيـة والرحالة والمكتشفين وأدى ذلك الى استهلاك معظم الرصيد المخزون فى تلك المنطقة من العاج وسن الفيل ، والى تحول التجار الأوربيين الى تجار رقيق ، كمصدر مضمون وسريع للربح[٣٦] .

والمهم أن هذه الفترة أدت الى اضافة واقع لغوى جديد ، وهو اللغة العربية التى أصبحت واقعـا ملموسا فى الجنوب . كما أحدثت تأثيرا اسلاميـا ضئيلا فى العادات والسلوك . ولكنها مهـدت للتحول الكبير ، الذى شهدته المنطقة فى الفترة من ١٨٥٠ — ١٨٨٥م ، وهى فترة التفاعل اللغوى والدينى[٣٧] .

---

(٣٤) خديجة زروق : ترسانة الخرطوم البحرية (مجلة الوثائق العدد الخامس ١٩٧٥)

(٣٥) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ١٤٦

(٣٦) حسن مكى : السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان ... ص ٩ — ١٠ ومحمد عمر بشير : جنوب السودان والرحالة فى السودان .. رحلة برون رول (١٨١٠ — ١٨٥٨) ص ١٨ .

(٣٧) حسن مكى : نفس المرجع ص ١٠

لقد أدى دخول جنوب السودان ، فى مرحلة التعامل الهامشى مع الأسواق الاستعمارية والعالمية — ، كمصدر لسن الفيل والعاج ، ثم كسوق للرقيق — ، تدفق التجار الأوربيين والجلابة ، الذين أنشـأوا الزرائب والشركات ، التى ضمت الوكلاء والجنود والعبيد بالآلاف • وقد أدى ذلك الى انتشار اللغة العربية ، كوسيلة للتخاطب بين الدولة الجديدة ، التى أنشأت المحطات والمراكز وحمتها بالجيش وشعب المنطقة كما أن الجلابة ، الذين جاءوا لتصريف بضـائعهم ، استوطن بعضهم هناك ، وتزاوج مع المكوك والرثوت والسلاطين • وأصبح هؤلاء يمثلون الطبقة الراقيـة ، التى سعى أفراد المجتمع لتقليدها ، وتعلم لغتها ، وأساليب حياتها(٣٨) •

لكن تجـار الرقيق الأوربيين أمثـال « بسلى «Biesli » وغطاس أو جاتاس «Ghatas» و « جون باتريك ، وغيرهم ، هم الذين مارسوا امتهان كرامة الجنوبيين ، عملوا على تصديرهم للأسواق العالمية • ولربما كان لعملهم هذا نتائج عكسية على انتشار اللغة العربية والاسلام • لأن غزواتهم أدت الى شيوع الخوف ، وعدم الاستقرار ، والانعزال ، والقضاء على السكان ودخولهم الغابات(٣٩) ، كما دفـع اهتمام أوربا ، وبخاصة انجلترا ، بمسألة الرقيق ، محمد على الى أن يتجه الى تنشيط التجـارة المشروعة • فوجه بضرورة تطور الزراعة بالسودان ، وأرسل العديد من الخبراء والفلاحين المصريين لهذا الغرض• وادخلت العديد من أنواع المحاصيل الجديدة فى السودان ، منها نبات النيل (النيلة) الذى أصبح ، بعد أن ثبتت أهميته فى صناعة المنسوجات، من أهم الصادرات • كذلك أنشئت عدة سواقى على النمط المصرى ، حتى يكون رى الزراعة ريا دائما ، ولا يعتمد على الأمطار • كما أدخل المصريون تجارب زراعة القطن ، فى منطقة دلتا القاش وطوكر فى أيام أحمد ممتاز باشا • حتى نسب القطن اليه ، فسمى قطن ممتاز • ولم

---

(٣٨) حسن مكى : نفس المرجع ص ١٠ — ١١

(٣٩) حسن مكى : السياسـة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان ص ١٢

يقل اهتمام المسئولين الأتراك بالماشية عن اهتمامهم بالزراعة خاصة وأن مصر كانت فى أمس الحاجة اليها[٤٠] .

عمل الحكم المصرى أيضا على تاسيس المدن الجديدة ، مثل الخرطوم ، التى اتخذت عاصمة للبلاد عام ١٨٣٠م . وقد اختار المصريون لها هذا الموقع لأهميته . حيث يلتقى النيلين : الأزرق والأبيض[٤١] . كما أسسوا مدينة كسلا ، كى تكون عاصمة لاقاليم التاكة بشرق السودان[٤٢] . وأدخلت مصر أيضا ، الى السودان ، فن الطباعة ، وأرسلت اليه مطبعة حجر صغير لم يعرف على وجه التحديد موعد وصولها للسودان . وكان طبيعيا أن يكون الغرض منها انجاز الأعمال الحكومية البسيطة ، من مطبوعات ودفاتر وتجليد . كما أنه قد عهد اليها بالاحتفاظ بمخزون الحكومة من الأدوات الكتابية ، وصرفه للجهات الحكومية المختلفة[٤٣] . وقد أسهمت هذه المطبعة فى نشر العلم والثقافة، خاصة بعد سقوط الخرطوم فى يد الأنصار .

وعن طريق مصر ، عرف السودان أيضا الصحافة ، بعد أن عرف الطباعة . وبدأ اتصاله بها على البعد ، ودون أن يمارسها . فقد أخذت جريدة الوقائع المصرية ، التى كان محمد على قد أسسها ، تنشر أنباء السودان ضمن أنباء الأراضى التى تم فتحها . ثم أخذت الوقائع تنشر ، الى جانب أنباء السودان ، أعمالا للأدباء السودانيين ، فى عهد الخديوى

---

(٤٠) خديجة زروق : التجارة والنقل النهرى (مجلة الوثائق ، العدد ٦ ، ١٩٧٦) ص ٢٠ — ٣١

(٤١) عبد الرحمن الرافعى : عمر محمد على ص ١٨٦ ، وللمزيد انظر محمد ابراهيم ابو سليم : تاريخ الخرطوم (بيروت ، ١٩٧١) .

(٤٢) رافت غنيمى الشيخ : مصر والسودان فى العلاقات الدولية ص ٨٥

(٤٣) ابراهيم ابو سليم : الطباعة فى المهدية (مجلة الخرطوم ، عدد ١٢ ، سنة ١٩٦٧) ومحجوب محمد صالح : الصحافة السودانية فى نصف قرن ج ١ ص ١٠ — ١١ وخديجة زروق : ترسانة الخرطوم البحرية (مجلة الوثائق العدد ٥ سنة ١٩٧٥) . وكانت المطبعة ملحقة بالترسانة

أسماعيل باشا ، خاصـــة عندما تولى منصب حكمدار السودان جعفر مظهر ، الذى عرف بتضلعه فى العلوم الدينية والأدبية(٤٤) •

ويعلق الدكتور مكى شبيكة ، على هــذا العهــد بقوله : « ان من محاسن ادارة محمد على للسودان ، أنه أزال الفوارق ، التى كانت قائمة بين الملكات المغيرة فى السودان ، والغــارات والحروب ، التى كانت سائدة بين كل قبيلة وأخرى ، وتأمين المواصلات بين أجزاء القطر بأكمله وقد كانت مضطربه • والادارة الموحــدة ، التى أعطاها محمــد على للسودان ، قللت ــ نوعا ــ من العصبية القبلية ، وان لم تقض عليهـــا تماما • فالمجموعة المترحلة ، والمسافر المنفرد ، كلهم يشعرون بأنهم فى ظل الحكومة التى تهيمن على البــلاد بأجمعها • لا فى ظل ملك دار ، أو شيخ قبيلة • ان فتح السودان أتاح له الاتصال بالعــالم الخارجى ، وتأثر بالمدنيــة القائمــة آنذاك • وقد هــرع السائحون له بمعرفة وتقصى أحواله(٤٥) ••• لكنه للأسف الشديد ، « ترك أمر تقدير الضرائب وجمعها للمعلم حنا الطويل ، وهو قبطى ، فأظهر شدة فى وضع الضرائب على السودانيين ، حتى أثقل كاهلهم •وأساء الى الموقف أن محصلى الضرائب كانوا شرذمة كبيرة من الكتبة الأقباط ، الذين أرسلهم محمد على ليكونوا محاسبين ، تصحبهم شراذم من الجنود الأتراك والمرتزقة • فينزلون ضـــيوفا غير مرغــوب فيهم ، على القرى حيث يكون مأواهم ومأكلهم ومشربهم ورشوتهم من جيوب أهل القرية ، فلا يخرجون منها الا بعد أن يستنفدوا آخر ما عند الأهلين(٤٦) » •

وعندما اشتعلت الثورة المهدية فى السودان ، كان لمصر فى ذهن المهدى دور كبير • وقد استند موقفه هذا الى الروابط التاريخية العميقة الجذور التى كانت تربط السودان بمصر منذ أقدم العصور ، فهى فى

---

(٤٤) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ١٥٣ (ط. دار الثقافة ، بيروت) •

(٤٥) مكى شبيكة : المرجع السابق ص ١٤٥) ط. دار الثقـــافة ، بيروت •

(٤٦) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ص ٥٣ .

رأيه — القنطرة التى عبرت عن طريقها كافة الاخطار للسودان ، لاسيما الحكم التركى ، الذى تصدى له المهدى وانتصر عليه • وهى — أى مصر — فى نظره كذلك حصن من الحصون القوية فى العالم الاسلامى ، التى كان من الممكن — عن طريقها — أن تنتشر الدعوة المهدية ، اذا ما تمكن المهدى من الاستيلاء عليها ، وطرد الانجليز منها[٤٧] •

لذلك وجدنا المهدى يتخذ من الدعوة لجهاد الترك شعارا لتوحيد المسلمين ، فى كافة أنحاء العالم الاسلامى ، وأعلنها صريحة ، بعد أن دان له السودان ، أنه عازم على فتح مصر • وقد جاء خطاب المهدى ، لتوفيق — خديوى مصر — متضمنا لتلك الأفكار ، وحاملا فى نصوصه تذكيره « بوجوب التمسك بالدين الاسلامى وتشريعاته ، حتى يكونا يدا واحدة على اقامة الدين ، واخراج أعداء الله من بلاد المسلمين ، وقطع دابرهم واستئصالهم عن آخرهم ، ان لم يثيبوا الى الله ويسلموا » وقد حررت اليك هذا الخطاب وأنا بالخرطوم شفقة عليك ، وحرصا على هدايتك • فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله ، ويدلك على صلاحك ورشادك فى الدارين وها أنا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب انشاء الله تعالى[٤٨] •

كذلك كان المهدى قد أصدر أوامره المشددة للأنصار « ألا يتعرض منكم أحد الى حياة غردون بسوء ، لأنى أريد أن أفدى به أحمد عرابى[٤٩] باشا • يؤيدنا فى هذا الرأى أحد المثقفين البارزين من أبناء السودان حيث يقول : « يعرف المهدى ، ويعرف السودانيين آنذاك ، أن الهيئة الحاكمة فى مصر والسودان هم الترك • ولم يظهر فى كتابات المهدى — وكلها الآن بين أيدينا — اسم المصريين على أنهم الحكام ،

(٤٧) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن : توشكى ص ٢٧ (دراسة لحملة النجومى على مصر) ط• دار جامعة الخرطوم للنشر •

(٤٨) الامام المهدى : منشورات المهدى (دار الوثائق المركزية بالخرطوم) •

(٤٩) مبارك الربح : ثورة ١٩٢٤ السودانية ص ٤١ ومحمد أحمد محجوب : الديمقراطية فى الميزان

بل الترك هم الذين ظلموا ، وأرهقوا الأهالى بالضرائب ، وضربوهم بالسياط . بل أن أهدافه هى تخليص الشعب السودانى والشعب المصرى من ظلم الأتراك ، الذين يحكمون بغير الشريعة الاسلامية[٥٠].

لقد أعقب المهدى انذاراته لخديوى مصر وأهلها ، بتجهيز حملة عبد الرحمن النجومى[٥١] المشهورة فى فبراير سنة ١٨٨٥ م ، كى يتسنى له طرد الانجليز من السودان ، وبعدها يتوجه الى مصر ليخلصها من أيدى الترك والانجليز[٥٢] .

والحق ، ان المهدى ، وخليفته من بعده ، قد علقا الآمال على هذه الحملة ، وحث رجالها على قتال أعداء الدين ، أعداء الله « ... فلا يكن لكم أحبابى أقل شاغل يشغلكم عن السير الى تلك الجهة ، ودعاية أهلها الى الله ، ونرجوه سبحانه وتعالى أن يجعل على يديكم النصر لنا والفتح العام ، وأن يهدى بكم من أراد الله سعادته ونجاته ويهلك بكم من أراد الله عطبه وشقاوته[٥٣] .

لقد كتب الخليفة مرتين الى خديوى مصر (توفيق) ، داعيا له ومنذرا ، بأن نهايته ستكون كنهاية يوحنا ملك الحبوش ، ان لم يستجب لداعى الله ، ويقبل الدعوة المهدية ، وينخرط فى سلكها[٥٤] . وهذا يوضح لنا لماذا رفض الخليفة قبول أى تهدئة للأحوال على الحدود دون

---

(٥٠) مكى شبيكة : السودان والثورة المهدية جـ ١ ص ٥ (دار جامعة الخرطوم للنشر ، سنة ١٩٧٨) .

(٥١) عن النجومى أنظر : Hill. R. : Bibliographical Dictionary of the Anglo — Egyptian Sudan. P. 17.
ودكتور عبد الوهاب عبد الرحمن : توشكى .

(٥٢) ابراهيم باشا فوزى : السودان بين يدى غوردون وكتشنر جـ ٢ ص ١٧٥

(٥٣) مهدية — صادر — ١٢ — ٥٠ من المهدى الى النجومى وآخرين ٥ جماد آخر ١٣٠٢هـ (دار الوثائق المركزية بالخرطوم) .

(٥٤) Wingate, R. : Mahdism and the Egyptian Sudan. P. 447 (London, 1801).

رضوخ أهل مصر وحكامها الى سلطته ، وايمانهم بالدعوة المهدية[٥٥].

وعندما أدرك الانجليز والحكومة المصرية مدى خطورة الحركة المهدية ، خاصة بعد حملة النجومى ، وتهديدها لحدود مصر الجنوبية عمدوا الى تشويه الحقائق المتعلقة بالدعوة المهدية • فقاموا بتحريف منشوراتها ، وتشويه مضامينها بما يوافق الصورة التى تخدم أغراضهم وقد أدرك الخليفة ، بذكائه الفطرى ذلك ، وطلب من أتباعه الاتصال بالفرنسيين • أعداء الانجليز ، الذين انفردوا بالأمر فى مصر • مما يدل على أنه كان ملما بمجريات الأمور ، وعلى مستوى الأحـداث ، كى ينشروا مناشير المهدية الحقيقية ، حتى يعلم أهل مصر — وهذا ما يهم الخليفة بالذات — حقيقة الدعوة المهدية[٥٦] ومراميها الحقيقية • فكتب الى الحسن محمد خليفة[٥٧] يقول « •• نعلمك أن الانذارات التى سبق ارسالها منا بالمخصوصين ، الى والى مصر ، وسلطان اسلامبول ، وملكة الانقليز (يقصد الانجليز) ، قد علمنا من الوقائع التى حضرت من تلك الجهة البحرية ، أنهم غيروا وصفها وبدلوا على حسب أهوائهم ونشروها على أهالى جهتهم ، لغشـهم والتلبيس عليهم • وحيثما أن المطلوب اشاعة الدين ونشر الهدى بين عباد الله ، وأنت بالقرب من تلك الجهة ، فها هى واصلة اليك • من كل انذار عشرة صور ، لكن بحال وصولها بطرفك أولا تداوم قراءتها على الأنصار الذين معك ، وعلى الواردين والمترددين عليك فى الجهات البحرية ، وثم تجرى نشرها فى الجهـات البحرية على الأهالى بواسطة الواردين على تلك الجهات • وقد بلغنا أن دولة فرنسا لها دواوين وقائع بأسيوط ، ومصر على ذمة استنشاق أخبـار المهدية الصحيحة ، ونشرها فى تلك الجهات لاغاظـة أعدائهم

---

(٥٥) محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان (١٨٢٠ — ١٨٩٩) ص ٣٩٣

(٥٦) مهدية — صادر — ٦ — ٢٤ من الخليفة عبد الله لكافة أحبابه فى الله أنصار الدين وأهل البيعة ٥ محرم ١٣٠٣ هـ (دار الوثائق المركزية بالخرطوم) .

(٥٧) مهدية — صادر — ٢٣ — ٢ — ٢٦٦ من الخليفة عبد الله الى الحسن محمد خليفة ١٨ رمضان ١٣٠٤هـ .

الانقليز ، لعلهم ينشروها ، فيتضح للعباد تكذيب ما بوقائع المصريين[٥٨]

وعلى الرغم من الجهود المستميتة التى بذلها الخليفة لانجاح حملة النجومى ، الا أن عوامل عديدة تحالفت ضده ، فأدت لهزيمه توشكى المعروفة • ذلك أن البلاد كانت تعانى من نقص شديد فى مواردها الطبيعية ، نسبة لعدم هطول الأمطار ، وعدم فيضان النيل ، وتراكم جيوش المهدية فى منطقة دنقلا ، التى عرفت بعدم اتساعها وانعدام الحبوب فيها بسبب الأحوال المناخية التى أشرنا اليها[٥٩] •

لقد كان الخليفة مصمما على غزو مصر • لذلك وجدناه يستدعى عثمان دقنه ، أمير أمراء المهدية فى شرق السودان ، ليبحث معه مسألة غزو مصر ، عن طريق الشرق • فى نفس الوقت الذى جرى فيه غزوها من الشمال • وقد أشار ونجت لذلك بقوله « ان الخليفة كان يدرك تماما أن العمليات على مصر لا يمكن أن تشدد مادامت سواكن خارجة عن قبضته[٦٠] •

ومما تجدر الاشارة اليه ، أن حملة النجومى لم تكن آخر محاولات الخليفة لغزو مصر • فقد واصل كتاباته لكافة أنصار جيشه بالجبهة الشمالية ، وليونس الدكيم بعد هزيمة النجومى فى توشكى ، يحثهم على الجهاد ويناشدهم بألا يهنوا ولا يضعفوا فى دينهم[٦١] • ويسألهم أن يأخذوا المثل الصالح من الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم ، ومن

---

(٥٨) مهدية — صادر — ٢٣ — ٢ — ٢٢٦ من الخليفة عبد الله الى الحسن محمد خليفة ١٨ رمضان ١٣٠٤هـ •

(٥٩) مهدية — ١ — ٣ — ٧٣ من النجومى الى الخليفة عبد الله ٩ صفر الخير ١٣٠٦هـ

Holt, P. M. : The Mahdism in the Sudan 1881 — 1898. P. 150.

(٦٠) Wingate, F.R. : Mahdism and the Egyptian Bloss. J.F E. & Sudan, P. 350 + Story of Suaki. S.N.R., XIX, II, 1930.

وانظر كذلك شقير : جغرافية وتاريخ السودان ص ٤٢٢ •

(٦١) عبد الوهاب احمد عبد الرحمن : توشكى ص ١٨٣ و Story of Suakin. S.N.R., XIX, II, 1930.

اخوانهم الذين استشهدوا فى سبيل الله • علاوة على ذلك ، كان الخليفة يمهد لغزو مصر عن طريق الواحات • لأنه أدرك أن قوة الأعداء البحرية لا قبل لجيوشه بها ، فأراد أن يسلك طريقـا آخر غير النيل ليتحاشى ذلك • وكان من الممكن نجاح حملة الواحات ، لولا ضـيق الامكانيات وقلة المياه ، وتدهور الأوضاع فى السودان ، والاستعدادات الضخمة من قبـل المصريين والانجليز لدرء أى خطر من الجنوب • كل هـذه العوامل حالت دون تقدم الأنصار شمالا ، وحرمانهم من تنفيذ مخططهم المتكامل الذى كان يهدف لفتح مصر ، لتخليصها من قبضـة الأتراك ، وتتبع نفوذهم فى كافة أنحاء العالم الاسلامى والقضاء عليه(٦٢) •

✓ وبعد عملية اعادة فتح السودان ، عملت بريطانيا ، منذ ذلك الحين، على استغلال الظروف الجديدة فى كلا البلدين ، لتحقيق أهداف السياسة البريطانية • فحرصت فى كل مناسبة ، على تذكير السودانيين بفترة الحكم التركى التى سبقت المهدية ، وما لاقوه من ظلم وعسف وجور ، وما يتمتعون به الآن من عدل على يد الانجليز • من ذلك ما قاله كرومر للسودانيين بأمدرمان فى ٤ ينـاير ١٨٩٩م فى أول زيارة له : « أنى أعـرف أن مسـاوىء كثيرة كانت موجودة أيام الحـكم المصرى فى السودان • فلم يكن هناك محاكم تستحق هـذه التسـمية ، وكانت الضرائب ثقيلة ، والاتاوات التى كانت تحصل زيادة على الضرائب ، كان كثيرا حدوثها ، ولكن فى وسعكم أن تطمئنوا الآن لعدم عودة هذه المساوىء مرة ثانية »(٦٣) •

فاذا ما خطب الحاكم العام ، أو أحد وزرائه ، ذكر الناس كذلك بالعهـد التركى ، وقارن بين تلك الفترة ، وما يلقاه السـودانيون من رعاية وعدل ، على يد الانجليز • كما برروا وجودهم مع المصريين على أرض السودان ، بدعوى سـوء حكومة المصريين السـابقة • وأنهم

---

(٦٢) عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن : توشكى ص ١٨٦

(٦٣) محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٥٧٦ ونعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان

ما قبلوا بالنظام الثنائى الا لضـــمان تأمين أهل السودان ، مدعين أن انفراد .. المصريين بالحكم ، على نحو ما كان عليه الحال قبل الثورة المهدية ، يهدد — على حد زعمهم — بعودة المظالم والقسوة والمفاسد(٦٤)

وحقيقة الأمر أن بريطانيا لم تشارك مصر فى حكم السودان ، بل انفردت بالأمر كله(٦٥) . يدلنا على ذلك ما ذكره كرومر فى أول زيارة له للسودان « .... (اعلموا أن البلاد السودانية لا تستمد أحكامها من القاهرة ، ولا من لندن . بل أن السردار وحده هو الذى سيقوم بالعدل فيما بينكم . فلا يجب التعويل على أحد غيره . ولست أشك فى أنه يحقق أمانيكم ويحقق لكم كل ما ترجون »(٦٦) .

لقد كان نصيب مصر من هذه المشــاركة هو تحمل أعباء ماليــة بحكم أنها وحدها المسئولة عن رفاهية وتطور السودان . فقد منحت مصر السودان ستة ملايين من الجنيهات ، منذ عام ١٨٩٩ حتى عــام ١٩١٣ ، لتغطيــة الفرق فى الميزانيــة ، وتمويل المشروعات الكبرى . وشملت المشروعات ، تشييد منازل ومكاتب وعددا من مشروعات التنمية مثل السكك الحديدية والبواخر النيلية ، ومعــدات التلغراف وخطوط اللاسلكى ، وتشييد ميناء بور سودان ، وبعض المنشئات الثانوية الهامة. والحجة التى برر بها الحصول على هذه الأموال من مصر ، هى أن وحدها كما قلت كانت هى المسئولة عن رفاهية وتطور السودان . وأن مصلحتها فى تدعيم اقتصاد السودان وتدعيم ادارته(٦٧) .

وكما يقول أحد المثقفين السودانيين البارزين « كانت تلك المبالغ تنم عن أريحية من جانب مصر . لأن دفعها تم فى وقت كان الدائنون

---

(٦٤) محمد فؤاد شكرى : نفس المرجع ص ٥٧٥ .

(٦٥) Cromer : Modern Egypt. Part III, P. 113.

(٦٦) محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٥٧٥

(٦٧) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٩٢ و Sudan G. Finance and Dept. Report, 1907. P. 115 + Governer - General's R. Palace 1899 - 1909.

الأجانب ملحين فى استرداد قروضهم من ايرادات مصر • وللأريحية المصرية دلالتها الكبرى ، اذ تذكرنا أن الشريك الآخر فى المسئولية والسيد الفعلى المسيطر (بريطانيا) لم يساهم بأى نصيب من المال لادارته أو تنميته الاقتصادية(٦٨) •

ولكى ينفرد الانجليز بالحكم فى السودان ، ومن أجل تضخيم وتجسيم مساوىء الحكم التركى ، والتذكير بها فى كل مناسبة •••• كان لابد من انشاء المؤسسات التى تستند اليها هذه الدعاية وتروج لها ، وتحيط كل محاولة لقيام أى صلة مادية أو ثقافية بين البلدين •

لذلك أسست حكومة السودان مصلحة للمخابرات فى القاهرة فى عام ١٩٠٨ ، وعينت لها مسئولا عرف بوكيل حكومة السودان فى مصر وكانت مهمة هذه الوكالة ، رصد النشاط المعادى للادارة البريطانية فى كل من مصر والسودان • وقد شغل « السير لى ستاك » منصب أول وكيل لحكومة السودان بالقاهرة بين عامى ١٩٠٨ و ١٩١٤ ، وهو الذى أصبح حاكم عام السودان منذ عام ١٩١٨ واستمر الى أن قتل فى القاهرة عام ١٩٢٤ م(٦٩) •

والجدير بالذكر أن جهاز المخابرات فى السودان كان مزودا بموظفين سياسيين أذكياء ، لا رجال بوليس عاديين • وكانت مهمة قيادة هذا الجهاز رصد ودراسة كفاة التحولات فى الحركة السياسية السودانية ، كما كانت تهتم اهتماما بالغا بتقديراتها(٧٠) •

ونتيجة لهذا الرصد والتتبع ، عملت حكومة السودان على تدريب السودانيين ، ليحلوا محل المصريين فى الوظائف الصغرى منذ عام ١٩١٥ وفى عام ١٩١٧ تقدم « بونهام كارتر » السكرتير الادارى ،

---

(٦٨) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ٣٩

(٦٩) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى بين مصر والسودان ص ٢٨

(٧٠) جعفر م٠ع٠ بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنية السودانية ص ١٦

باقتراحات استهدفت ، بالدرجة الأولى ، التقليل من سلطات المآمير المصريين فى المراكز التى خضعت لهم • كما اقترح أيضا منح سلطات القاضى من الدرجة الثالثة للشيوخ والأعيان • كما طالب بخضوع هذه المحاكم مباشرة للمفتش البريطانى ، بدلا من المأمور المصرى • كما اقترح انشاء مجالس استشارية محلية للأعيان • الأمر الذى يجعل للمفتشين البريطانيين صلة مباشرة بالشعب السودانى ، ويقلل من تدخل المآمير المصريين كوسطاء[٧١] ، وتعيين خريجى كلية غردون فى المصالح الفنية ، لكى يشغلوا وظائف المهندسين والزراعيين والفنيين فى الارسال البرقى ، وهى وظائف كان يشغلها المصريون[٧٢] •

لقد وضعت عملية (نجلزة) الحكومة فى الاعتبار الأول • فتقرر مضاعفة عدد المفتشين البريطانيين ، فى كثير من المراكز ، حتى يكونوا الدعامة الأساسية لاستمرار الادارة ، مع جعلهم السلطة العليا التنفيذية فى كل مركز • كما قررت حكومة السودان جلب ثمانية من مساعدى المفتشين البريطانيين سنويا من خريجى جامعات بريطانيا •

بهذه الاجراءات أعدت بريطانيا للوضع الجديد ، الذى كانت تتوقعه بعد انتهاء الحرب • لذلك فعندما اشتعلت ثورة ١٩١٩ ، ظهر بوضوح مدى تأثير هذا الوضع الجديد بمصر،على الوضع فى السودان[٧٣] وكان المثقفون السودانيون قد قصروا عملهم ، فى بداية الأمر ، على نشر أخبار الثورة المصرية ، مع شىء من المبالغة فى تمجيد رجالها واحاطتهم بهالة من البطولة والنبوغ ، حتى صار لاسم سعد زغلول وحمد الباسل من الاحترام والتقدير ، ما لم يتأت لاسم أى بطل من أبطال التاريخ الأولين[٧٤] •

---

(٧١) جعفر م.ع. بخيت : المرجع السابق ص ١٩ — ٣٩ و ٤٧ ومكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٨٣

(٧٢) عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية السودانية ص ٨٧

(٧٣) يونان لبيب : السودان فى المفاوضات المصرية البريطانية .

(٧٤) أحمد خير : كفاح جيل ص ١٢ — ١٦ و ٩٧

بعد ذلك ارتفعت الأصوات بالسودان تدعو للجهاد متأثرة بما يدور فى مصر ، حتى أن الصبية فى شوارع السودان كانوا يرددون : « السجن ما يهمنا سعد باشا عمنا »(٧٥) • وما نادى به أحد الضباط السودانيين المتقاعدين بالمعاش ويدعى محمد أمين هديب ، مطالبا جميع السودانيين بالاتحاد مع المصريين ، لاجلاء الانجليز(٧٦) •

وكرد فعل رسمى لما جرى فى مصر ، رأت حكومة السودان أن يتحرك وفد من زعماء الطوائف الدينية وزعماء القبائل والعلماء الى انجلترا لتهنئة مليكها بالنصر • وقبل سفرهم قدموا للحاكم العام ما سمى « بعريضة الولاء » ، استنكروا فيها ما يجرى فى مصر كما أبناء وطنهم منه(٧٧) •

وما أن عاد الوفد من لندن حتى هاجمته الصحف المصرية هجوما شديدا ، واعتبرته بداية لابعاد السودان عن مصر(٧٨) • ولقد شهدت الأعوام من ١٩٢٠ الى ١٩٢٣ ، نمو الوعى السياسى بالسودان ، كنتيجة لما جرى بعد ثورة ١٩١٩ • فقد صارت مسألة وحدة وادى النيل ، بمصره وسودانه ، جزءا لا يتجزأ من برامج كثير من الأحزاب السياسية المصرية • وبرزت قضية السودان بصورة جديدة • فمصر تصر على الاستقلال التام ، والخلاص من السيطرة الأجنبية لوادى النيل ، شماله وجنوبه • وقد لقى هذا الموقف التأييد من جانب العديد من السودانيين،

---

(٧٥) جريدة الأيام السودانية بتاريخ ١٩٥٧/١/٣ عدد خاص بمناسبة مرور عام على استقلال السودان •

(٧٦) S.G.A./Sudan Intelligence Report, No. 298 May. 1919
ومحمد احمد شاموق : من هوامش الثورة والسياسة ص ١٥٤

(٧٧) عريضة السيد على الميرغنى والسيد عبد الرحمن المهدى وآخرين للحاكم العام (دار الوثائق المركزية بالخرطوم) •

(٧٨) عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ٩٠
ومحجوب محمد صالح : الثقافة السودانية فى نصف قرن ص ٧٦ — ٨٦
ومكى شبيكة : السودان عبر القرون •

الذين برموا بالسيطرة الأجنبية على بلادهم[٧٩] • ومما غذى هـذا الاتجـاه وقواه الأدب الثـائر ، الوارد من مصر • فاصبحت الحركة السياسية السائدة فى السـودان عقب الحرب العالمية الأولى « حركة اندماجية » ــ على حد قول الصادق المهدى[٨٠] •

وفى عام ١٩٢١ تأسست جمعية الاتحاد السودانى ، وكان شعارها « السودان للسودانيين ، والمصريون أولى بالمعروف » • ويذكر الدكتور مكى شبيكة « أن الجمعية استمدت هذا الشعار من مقال كان قد نشر بجريدة التيمس الانجليزية • قام ناظر كلية غردون بقراءته على بعض خريجى الكلية وكان المقال ينادى بمبدأ السودان للسودانيين ويطـالب بريطانيا بأن تتبنى هذا المبدأ وتعمل له »[٨١] •

وكان الهدف من ذلك هو فصل قضية السودان عن قضية مصر • وفى أحسن الحالات ما هى الا تمكين النفوذ الانجليزى ليرسم خطى التطور البطىء الذى يريده • وبالرغم من تبنى الجمعية لهذا الشعار ، فقد قامت بمراسلة الصحف المصرية ، وقامت صحافة مصر بنشر ما كانت ترسله لها الجمعية • وكانت الجمعية تجلب بعض تلك الصحف المصرية الى السودان ، وتوزعها سرا[٨٢] •

وفضلا عن ذلك نجحت الجمعية فى توزيع المنشورات التى كانت تنادى بمناهضة الحكم البريطانى ، ونجحت أيضا فى ارسال طلبـة لاتمام تعليمهم فى مصر[٨٣] •

وبعث عبيد حاج الأمين (رئيس الجمعية) برسالة الى الأمير عمر

---

(٧٩) Ewart Report of Special Committee Commissioned in 1925 to require into Political Organizations in the Sudan Culminating in 1924 disturbances.

(٨٠) الصادق المهدى : أضواء على تاريخ السودان ص ١٣٥

(٨١) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٥٢٣

(٨٢) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى ص ٣٦

(٨٣) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٥٢٤ •

طوسون ، نشرت فى جريدة الأهرام ، أعلن فيها أن الوطنيين السودانيين مؤيدون للشعب المصرى ، ومعارضون انفصال مصر والسودان تحت أية ظروف(٨٤) • واستمرت الجمعية فى اتباع طرق دعايتها حتى عام ١٩٢٣ • اذ لم يرض عبيد حاج الأمين وبعض الأعضاء الاكثر صلابة ، بالاكتفاء بمجرد شن الهجوم بالاقوال • ومن ثم ترك الجمعية ، كى ينضم الى على عبد اللطيف ، لتكوين جمعية اللواء الأبيض(٨٥) • ويرجع الفضل ، بعد الله ، الى جمعية اللواء الأبيض ، فى جذب أنظار الرجل السودانى الى مجال السياسة(٨٦) •

لقد عمل الانجليز بكل طاقتهم ، للقضاء على هذا التيار الوارد من مصر • لكنهم لم يتمكنوا من ذلك • فقد وضح ذلك عندما زار اللورد اللنبى السودان عام ١٩٢٢ ، واحتفت به العناصر المؤيدة لبريطانيا ، ونشرت القصائد ترحيبا لمقدمه • كما نشرت الصحف المصرية قصائد لشعراء سودانيين انتقدوا فيها هذه الزيارة • فكتب توفيق صالح يقول :

ويح قلبى ماذا يروم اللنبى   يوم وافى يجر سيفا صقيلا

جمع الجمع أرهب القوم حتى   أصبح السيد النبيل ذليلا

أتراه يريد يفصم حبلا   بين مصر وبيننا موصولا(٨٧)

وفى عام ١٩٢٣ أسس على عبد اللطيف جمعية اللواء الأبيض وكان

---

(٨٤) مبارك بابكر الريح : ثورة ١٩٢٤ السودانية ص ٥٨ وحسن نجيلة ملامح من المجتمع السودانى ص ١٣٥

(٨٥) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص وعمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية السودانية ص ٩٧ وحسن نجيلة : المرجع السابق ص ١٤٢

(٨٦) Mekki, Sh. : The Independent Sudan. P. 477 (New York, Robert Spiller & Sons Puls).

(٨٧) حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السودانى ص ٦٨ — ٦٩ ومحجوب محمد صالح : الصحافة السودانية فى نصف قرن ص ٦٤

علمها مرســوما عليه خريطة لوادى النيل ، وفى احــدى زواياه علم مصر[٨٨] •

وبالرغم من أن عضوية هذه الجمعية اقتصرت على السودانيين ، الا أنها ضمت أعضاء سريين من المصريين[٨٩] • وقد تمثلت قوة الجمعية فى ضباط الجيش والكتبة والعديد من العمال والتجار وبعض القضاة ونواب المآمير والطلاب • وقويت الجمعية واتسعت ، فصار لها فروع فى العطبرة وحلفا وبور سودان والأبيض وود مدنى[٩٠] •

يذكر الدرديرى محمد عثمان[٩١] « أن حركة اللواء الأبيض كانت أســاسا من صــنع المصريين • هم الذين ألقوا بالفكــرة فى أذهــان السودانيين ، فعمل السودانيون على تكوينها ، والمصريون هم الذين هيأوا لها الجو ، وهم الذين عضدوها بنفوذهم ومساعيهم ، ودعاياتهم، وأساليبهم فى التنظيم والتكتيك والتدبير ، غير أننا نحن السودانيين ، الذين كنا نهدف لتحقيق مصلحة السودان دون غيره ، عملنا على تحويلها لخدمة السودان ، واعتبرنا أن المصريين كانوا يعملون معنا لمصــلحة مشــتركة ، هى اخــراج الانجليز من وادى النيل[٩٢] • بينما يقول الدكتور عمر بشير « انها كالاتحاد السودانى ، حركة سودانية أصيلة ، عملت لصالح السودانيين بالتعاون مع المواطنين المصريين »[٩٣] •

---

(٨٨) Duncan, J.S.R. : The Sudan's Record of Achievement, 1952.

وانظر أيضا : تقرير أيوارت الذى سبقت الاشارة اليه ، الذى وصف على عبد اللطيف بأنه بعد أن أصبح ضابطا انتقــل من بؤرة التخلف الى صفوة المجتمع المحلى •

(٨٩) S.G.A. Sudan Intelligence report, 20 July 1924.

وعمر بشــير : تاريخ الحركة الوطنية ص ١٠٠

(٩٠) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقــاب الثورة المصرية جـ ١ ص ١٧٢ — ١٧٣

Mekki. Sh. : op. cit., P. 478 — 500.

(٩١) درديرى محمد عثمان : مذكراتى ص ٥٠ •

(٩٢) درديرى محمد عثمان : مذكراتى ص ٥٠

(٩٣) محمد عمر بشىر : تاريخ الحركة الوطنية ص ١٠١

وفى نفس العام تشكلت لجنة بالخرطوم ، عرفت بلجنة مصر والسودان ، من الضباط المصريين وبعض الموظفين . وأصبحت هذه اللجنة حلقة اتصال بين جمعية اللواء الأبيض واللجنة البرلمانية لشئون السودان بمصر والتى تشكلت عام ١٩٢٣[٩٤] .

وفى خريف عام ١٩٢٣ فر الطالبان توفيق أحمد البكرى وبشير عبد الرحمن ، ثم لحق بهما الدرديرى أحمد اسماعيل الى مصر ، رغم الستار الحديدى الذى ضربه الانجليز حول طلاب العلم فى كلية غوردون[٩٥] ، حيث كان يسوءهم توجه الطلاب السودانيون الى مصر ، لأن ذلك يخلق رجالا مناهضين لسياستها[٩٦] .

لذلك فكر الانجليز فى فتح آفاق جديدة أمام الطلاب السودانيين بعيدا عن القاهرة . فوقع اختيارهم على بيروت . واختاروا أول بعثة من ثلاثة أساتذة هم السادة : عبد الفتاح المغربى ومحجوب مضوى وعبيد عبد النور . وغادرت البعثة السودان فى سبتمبر ١٩٢٤ ، وعادوا فى سبتمبر ١٩٢٨ ، بعد أن حصل كل منهم على درجة جامعية[٩٧] .

---

(٩٤) مضبطة مجلس النواب : الجلسة الثانية عشر أول ابريل ١٩٢٣ واحمد خير : كفاح جيل ص ٢٩

(٩٥) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى بين مصر والسودان ص ٣٦

(٩٦) حسن نجيلة : ملامح المجتمع السودانى ص ١٠٥ وانظر أيضا : خطاب السكرتير الادارى الى مدير التعليم بتاريخ ٦ فبراير ١٩٣٣ منشور بجريدة البلاغ المصرية ٣٠ مارس ١٩٤٧ ، ومعها مذكرة أعدها المشرف على الامن العام عن موضوع الطلبة السودانيين المتخرجين فى جامعات خارجية . وصفهم المشرف على الامن العام بأنهم « من الطلبة الذين لم يعجبهم نظام التعليم فى كلية غردون . وفى نفس الوقت تغلغل فيهم النفوذ المصرى .وابلغنا ان الامير عمر طوسون سيتكفل بنفقات تعليمهما بعدئذ . ويبدو أنهما استقبلا استقبالا حسنا فى القاهرة ، وانهما اعربا عن وجهة نظر متطرفة فى معاداة بريطانيا .

(٩٧) حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السودانى ص ١١٦ ومجلة الفجر عدد ٣ مجلد ٢/١٦ سبتمبر ١٩٣٥ .

لكننا نلاحظ أن بعثات بيروت ، التى بدأت عام ١٩٢٤ ، انتهى أمرها عام ١٩٣٤ . فلماذا ؟ . لأنها لم تحقق الغرض المنشود من ورائها ، وهو الحيلولة بين الشـباب السودانى والمؤثرات المصرية . « لأن ما ينطبق على بيروت ينطبق على القاهرة بصورة مصغرة ، حيث يتعرض طلابنا فيها لمثل هذه العدوى السياسية »(٩٨) .

لقد برز الحب لمصر والتأثر بما يجرى فيها ، عنـدما قام آلاف المواطنين السودانيين وهم يحملون جثمان مأمور أمدرمان اليوزباشى المصرى عبد الخالق حسن ، وهتافاتهم تدوى « تحيا مصر »(٩٩) . وفى تلك الخطبة التى ألقاها الأستاذ محمد توفيق وهبة وهو يؤبن الفقيـد التى وصفها الأساتذ محمد عبد الرحيم بأنها « بليغة ومؤثرة »(١٠٠) .

كما يذكر الأستاذ محمد عبد الرحيم أيضا أن مستر « ولاس »* مدير المخابرات ، حاول أن يأخـذ منه اقرارا ، بأنه محـرض من قبل المصريين الا أنه ذكر له أنه قام بذلك بدافع من وجدانه ، ولم يدفعـه أحـــد(١٠١) .

كانت مظاهرة أبناء السودان ، وهم يشيعون جثمان اليوزباشى المصرى عبد الخالق حسن أولى المظاهرات فى تاريخ السودان الحديث . واذا كان لهذه المظاهرة من دلالة ، فان دلالتها أشارت الى أن درجـة الاثارة السياسية فى العاصمة المثلثة ، كانت عالية ، الى الحد الذى جعل

---

(٩٨) S.G.A. Note by Edward Attiya on Political History of Sudan 1924 — 31.

كذلك قامت جريدة البلاغ المصرية بنشر ترجمة حرفية لهذه الوثيقة ونشرتها بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٤٧

(٩٩) Ewart Report. P. 11.

(١٠٠) محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح على الوحدة فى السودان والحقيقة عن حوادث ١٩٢٤ ص ١٣ — ١٤

(*) ولد س.م.ولاس سنة ١٨٨١ وهو خريج جامعـة كمبردج ، والتحق بالخدمة فى سنة ١٩١٩ ، وفى عام ١٩٢٦ أصبح مديرا للمخابرات وفى ١٩٣١ عين مديرا لاعالى النيل .

(١٠١) محمد عبد الرحيم : المرجع السابق ص ٢٠

سكان المدن الثلاث (الخرطوم وأمدرمان وخرطوم بحرى) ، يقومون باعمال تخريبية ، مما جعل النصف الثانى من عام ١٩٢٤ يمثل كارثة حلت على الادارة البريطانية[١٠٢] .

لذلك شرعت الادارة البريطانية ، وفقا لما نصح به مكتب المخابرات فى اتخاذ الأجراءات للقضاء على جمعية اللواء الأبيض . فقبضت على « على عبد اللطيف » ، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات[١٠٣] . أما بقيـــة الموظفين المصريين والسودانيين ، الذين كانوا على اتصـــال باللواء الأبيض ، أو قاموا بالمظاهرات معه ، فقد فرضت الحكومة على بعض منهم أخذ اجازات . كما نقلت بعضا ممن كانوا يعملون بالمـــدن الثلاث ، الى مناطق نائيـــة فى المديريات المختلفة ، حيث قاموا بنشر الولاء لمصر فى هذه المناطق[١٠٤] .

وعلى الرغم من كل هذه الاجراءات ، التى اتخذت ، الا أن سيل المظاهرات لم ينقطع . ففى أغسطس تظاهر طلاب المدرسة الحـــربية بالخرطوم وحملوا فى مقدمة المظاهرة صورة للملك فؤاد ، وفى مؤخـــرة المظاهرة صورة سعد زغلول . وساروا حتى وصلوا الى معسكر الأورطة ١٤ المصرية ووقفوا وهتفوا للملك مصر والسودان . واتجهوا صوب كلية غردون ، وصولا لسجن كوبر ، حيث كان على عبد اللطيف . وقد طرق جمع منهم أبواب السجن منادين بحياته مطالبين باحضاره اليهم[١٠٥] . ثم عادوا أدراجهم مرددين الهتاف بحياة مصر ومليكها ، وحياة على عبد اللطيف ، مارين بمكتب مفتش مركز الخرطوم بحرى ، وأخيرا الى الثكنات التى كانت محاصرة بقوات من الجيش الانجليزى . وفى حوالى

---

(١٠٢) جعفر محمد على بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان ص ١٠٩ وابوارت : Report, S.G.A., : P. 12.

(١٠٣) Ewart : Report. S.G.A., P. 12 — 13.

(١٠٤) محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح على الوحدة فى السودان والحقيقة عن حوادث ١٩٢٤ ص ١٣ واحمد خير ، كفاح جيل ص ١٧٠ .. و Ewart : Report, S.G.A., P. 13.

(١٠٥) محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح ... ص ٢٣ ـ ٢٤

الساعة السابعة مساءا أمروا بتسليم أسلحتهم ، ثم قبض على قوادهم ومرة أخرى وجه البريطانيون اللوم للمصريين(١٠٦) .

ويصف الأستاذ محمد عبد الرحيم أثر ذلك على السلطة البريطانية بقوله : « اضطربت الحكومة السودانية بسببها أشــد الاضطراب ، وأنفذت من أجل ذلك الأورطة الانجليزية المعسكرة فى الخرطوم الى المدرسة ، حيث تمكنت من الاستيلاء على الذخائر المودعة بها . فلما عاد الطلبة اليها ، وطلب اليهم تسليم أسلحتهم ، أقسموا بألا يسلموها الا بأمر من جلالة الملك فؤاد(١٠٧) .

لقد شرح قادة الاضراب لدى محاكماتهم(١٠٨) ، بأن دوافعهم مثل على عبد اللطيف . لأنهم أقسموا يمين الولاء لملك مصر ، ولذلك أحسوا بأنهم ملزمون بالوقوف الى جانبــه ، ضــد الاعتداء على حقوق مصر بالسودان .

وفى نفس اليوم الذى قام فيه طلبة الكلية الحربية بمظاهرتهم ، قامت أورطة السكة الحديد بعطبرة بمظاهرة مسلحة أنضم اليها بعض المدنيين ، وتسببت فى اتلاف مبانى السكك الحديدية ، وورش الصيانة ، وامتدت روح التمرد بين العاملين على امتداد السكك الحديدية خارج عطبرة(١٠٩) .

ولقد تمت محاصرة المتمردين ، بعد عودتهم الى ثكناتهم ، وشكلت حكومة السودان لجنة التحقيق ، لمعرفة أسباب التمرد ، بعد أن قدم القادة للمحاكمة . فحكم بالسجن على ثلاثة عشر شخصا بتهمة قيادة التمرد . ثم أصدر الحاكم العام ، بعد ذلك ، أمرا بحل الفرقة كلها .

---

(١٠٦) S.G.A., Ewart Report. P. 15 — 16.

(١٠٧) محمد عبد الرحيم : المرجع السابق ... ص ٢٥

(١٠٨) سليمان كشة : محاكمات اللواء الأبيض ص ٦٠ .

(١٠٩) عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية ص ١١٠

وما أن حل شهر سبتمبرمن عام ١٩٢٤ ، حتى أبعد رجال الفرقة من السودان الى مصر[١١٠] .

مع كل ذلك استمر اندلاع المظاهرات وانفجارها فى كل من شندى وأم درمان والأبيض ودنقلا وملكال ، واعتقل عدد كبير من المتظاهرين[١١١] . وقد دارت فى شهر أغسطس من تلك السنة مفاوضات بين الادارة البريطانية فى السودان ، والحكومة البريطانية ، وانتهت بالاتفاق على ما يلى :

١ — اجلاء الضباط والقوات المصرية .

٢ — فى حالة رفض الحكومة المصرية أو معارضتها لهذه الخطوة يجب اتمام الجلاء بالقوة ، بعد تجريد تلك القوات من أسلحتها .

٣ — يجب أن تتم عملية الجلاء فورا ، وأن يتم أبعاد الضباط المصريين العاملين مع القوات السودانية فى نفس الوقت .

٤ — تكوين قوة دفاع السودان ، تحت قيادة الحاكم العام ، الذى يتعين عليه الاستقالة من منصب السردار فى الجيش المصرى ، على أن تؤدى القوة الجديدة قسم الولاء لملك انجلترا[١١٢] .

وفضلا عن ذلك أوصت حكومة السودان بما يلى :

(أ) يجب أن تخطر الحكومة المصرية بقرار سحب كل المصريين والقوات المصرية من السودان .

---

(١١٠) سليمان كشة : محاكمات اللواء الابيض ص ٦٠ — ٦٥ ومكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٥٢٨ و S.G.A. Summary of Events in the Sudan. Ang. 9, Sept. 1924.

(١١١) عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية ص ١١١ وحسن نجيلة : ملامح من المجتمع السودانى ص ١٦٦ Mekki, Sh. : The Independent Sudan, P. 500.

(١١٢) S.G.A. : Summary of Events in the Sudan 9/8/24 Sept. 1924. + Palace Record of Conference held in the Room of the Secretary of State at the Foriegn office on Aug. 13 th., 1924. بدار الوثائق السودانية

(ب) يجب أن يطلب من الحكومة المصرية اصـدار أمر بالجلاء ، وان تقدم لها كل مساعدة ، ويعبر لها عن الامتنان والاحترام ان هى وافقت على ذلك .

(جـ) فى حالة الرفض يجب اتخاذ جميع الخطوات العسكرية التى من بينها أبعـاد حراس المخـازن والأسلحة عن مراكزهم ، واحـلال حراس ، وقوات بريطانيـة بدلا منهم ، وتجريد أولئك الحراس من السلاح .

(د) تمنح الحكومة المصرية مهلة ثمان وأربعين ساعة ، للاختيار بين أحد الأمرين . فاما تجريد الجنود المصريين من السـلاح ، الأمر الذى يضمن عدم وقوع قتال ، وعدم اذلال تلك القوات أو المخاطرة بالزج بالقوات المصرية ، فى قتال يكون من نتائجه الحاق خسائر فادحة بهـا(١١٣) .

ولم يمض شهران على هذه الأحداث ، حتى اقترح الحاكم العام اجراء تخفيض فى عدد القوات المصرية ، على أن يعد لفترة انتقال مدتها أربع سنوات تتكون فى نهايتها قوة سودانية .

وجاءت الفرصة التى طالما انتظرتها بريطانيا ، لتنفيذ السياسة التى كانت تسعى اليها جاهدة منذ عامين سابقين : وهى طرد القوات المصرية والموظفين المصريين من السودان . وكانت هـذه الفرصة هى مصرع « السير لى ستـاك » حاكم السودان العـام وسردار الجيش المصرى فى شوارع القاهرة ، وفى وضح النهار فى التاسع عشر من نوفمبر ١٩٢٤ ، وانذار اللنبى ، واستقالة وزارة سعد ، ومغادرة القوات المصرية للسودان فى ديسمبر من نفس العام(١١٤) .

---

(١١٣) S.G.A. Summary of Events..; Ewart Report & Lioyed. Lord G. : Egyptian Cromer P. 133.

(١١٤) The Sudanese Mutiny at Khartoum, Note by Director of Intelligence, 10/12/1924, Palace, 4.

وقد قامت جريدة البلاغ المصرية بترجمة هذه الوثيقة بالكامل تحت عنوان (مصر والسياسـة العـامة فى السودان / ثورة الخرطوم) بتاريخ ١٦ أبريل ١٩٤٧ ، وانظر أيضا : عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ص ١٨٦ — ١٩٣ ومكى شـبيكة : السـودان عبر القرون ص ٥٣٠ والصادق المهدى : أضواء على تاريخ السودان ص ٣٦

أما أبطال ثورة ١٩٢٤ وأبطال ثورة الجيش ، فقد غيب منهم فى السجن من غيب ، ونفى الى مصر من نفى ، وأعدم من أعدم وهم يهتفون « لهذا الشرف عملت ، وفـداء للوطن والوحدة السودانيـة المصرية ولدت[١١٥] » .

وقد عم السودان بعد ذلك هـدوء قاتل ، وشـعر أكثر المثقفين والسياسيين السودانيين بأن رحيل المصريين يعنى فقداً لحلفاء ذاقوا مثلهم مرارة وحنظل الاحتلال ، بل فقداً لمساهمة مصر فى ادارة السودان فقد كان ينظر الى مصر على أنها رقيبة على الخطط الامبريالية البريطانية ورأى أولئك المثقفون أيضا ، أن العالم الخارجى لن يترامى الى أسماعه شىء عن السودان مادام لم تعد لمصر علاقة مباشرة بأحداثه[١١٦] . وحتى من أسمتهم بريطانيـا بالمعتدلين رغبـوا عن مؤازرة الادارة فى تصرفاتها ، كما أسفوا لرحيل المصريين من السودان[١١٧] .

وكما يقول الصادق المهدى « ان الحياة السياسية الناشئة كسدت بتقلص ظل مصر من السودان[١١٨] .

على أنه رغم المرارة التى أحس بها بعض المثقفين الميالين نحو مصر ، نتيجـة للموقف الذى أجبرت عليه عقب أحـداث ثورة ١٩٢٤ السـودانية ، الا أنهم ظلوا على ايمانهم بمصر وبحركتهـا الشـعبية والفكرية[١١٩] . فقد ورد فى تقرير لقـلم المخابرات عـام ١٩٣٠ أن « الجيل الصاعد يعتقد أن تغيير وضع السودان ، لا يمكن أن يتم الا عن طريق مصر ، ونجاح الحركة الوطنية المصرية[١٢٠] » .

---

(١١٥) محمد سليمان جريدة القلم السودانية عدد يناير ١٩٦٨ ومحمد عبد الرحيم : الصراع المسلح .. ومكى شبيكة : السودان .. ص ٥٣١

(١١٦،١١٧) جعفر محمد على بخيت : الادارة البريطانية .. ص ١١٩

(١١٨) الصادق المهدى : مذكرات السيد عبد الرحمن المهدى بعنوان « جهاد فى سبيل الاستقلال » ص ٣١

(١١٩) محمد أحمد شاموق : من هوامش الثورة والسياسة ص ١٦٢

(١٢٠) S.G.A. : Note by Edward Attiya on Political history of the Sudan 1924 — 1931.

لقد رمى البعض اتجاه ثوار ١٩٢٤ نحو مصر بالانحراف ، وعللوا ذلك بأن مصر شريك مع بريطانيا فى حكم السودان • لكن الدكتور مبارك بابكر الريح يذكر انه اتصل بنفر من المثقفين السودانيين ، الذين كانوا يقودون تلك الحركة ، عارضا عليهم أثر الروابط الثقافية(١٢١) ، فلمس اجماعا منهم على الأثر الكبير الذى قامت به المطبعة المصرية ، وكيف كانوا يقبلون على انتاجها : من كتب وصحف فى شتى فروع المعرفة من سياسة وأدب وتاريخ واجتماع الشىء الذى ترك فى نفوسهم ولاءا ثقافيا قويا نحو مصر ، وتدعمت أواصره ، وقويت حين آوت مصر فريقا من الطلاب السودانيين فى مدارسها العليا ، والأزهر الشريف والمعاهد الفنية(١٢٢) • ثم يستطرد فيقول « أما روابطنا التاريخية مع مصر ، فهى قديمة كعمر التاريخ بدأت منذ عهد الفراعنة عام ٢٠٠٠ ق•م• ، وتدرجت فى الحقب التاريخية المتعاقبــة الى عصرنا الحديث ، وارتفعت أسهم حضارتنا عندما كان الحال كذلك فى مصر ، وتدهورت تباعا لمـا أصاب الحضارة المصرية التدهور(١٢٣) » •

كما يرى الدكتور مكى شبيكة نفس الرأى حيث يقول « •• ان الشباب السودانى الذى كان يؤلف جانبا من القوات العسكرية المصرية السودانية المشتركة ، والذى تعلم فى مدارس عسكرية مصرية ، وزامل شبابا من مصر ، فى مختلف مراحل دراسته ، عومل الجميع فيها معاملة واحدة ، ومن ثم أقسم الجميع يمين الطاعة والولاء لملك البلاد ، ومن هنا كان انفعــال السودانيين بكل ما ينفعــل به المصريون ، نتيجة لأية مناقشة سياسية أو تطورات فى الأحداث الجارية • حتى اذا ما رأى السودانيين اخوانهم فى مصر ، قد توجوا جهــادهم السياسى هــذا بحصولهم على الدستور ، فضلا عن استقلالهم السياسى ، عول هذا الشباب السودانى أن ينهج نفس النهج ، ويتخذ نفس الطريق ، الذى

---

(١٢١) مبارك الريح : ثورة ١٩٢٤ السودانية ص ٣٩

(١٢٢) مبارك الريح : نفس المرجع ص ٣٩ واحمد خير : كفاح جيل ص ٢٣

(١٢٣) مبارك الريح : المرجع السابق ص ٣٩ — ٤٠

أختطه المصريون ، ويعتمدوا على أنفسهم ضد العدو المشترك[١٢٤] .

أما فى الميدان الاقتصادى ، فقد فتحت الثورة آفاقا جـديدة فتأسس بنك مصر عام ١٩٢٠ ، وتفرعت منه شبكة كبيرة من الشركات التجارية والمؤسسات الصناعية . والى جانب هذه النهضة الاقتصادية فقد درجت الحكومات المصرية المتعاقبة ، على انتهاج سياسة تشجيع الصناعات الوطنية . لقد تغلغلت الثورة فى جسم المجتمع المصرى فكانت له بمثابة الدم المعافى ، الذى يكسب الجسـد قوة وحيوية . فظهرت دعوات التجديد حين نـادى المثقفون بوجوب تعليم المرأة ومساواتها بالرجل فى مجالات الكتاب والأدباء والفنانين . ظهرت أروع آثار طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وهيكل والمازنى .. كما ابتدعت أنامل سيد درويش وبيرم التونسى وبديع خيرى أروع الألحان الموسيقية ، الى جانب الأغانى الشعبية والأناشيد[١٢٥] .

هذه الحقائق كانت معروفة لدى المثقفين من قـادة ثورة ١٩٢٤ بالسودان ، عن طريق الصحف والمجلات المصرية المهربة ، وعن طريق شهود العيان وكان لها تأثيرها فى اتجاه الحركة الوطنية السودانية نحو مصر[١٢٦] .

حـارب الانجليز هـذا الاتجـاه المعـادى لهم بأسـلوب اللين والدبلوماسية فى بادىء الأمر ، ولما لم تأت هذه السياسة بالنتائج المرجوة لها اتقلب لينهم الى بطش شديد . فجمدت بريطانيا التعليم فى جميع مراحله،وزادت المصروفات ، وخفضت الوظائف الحكومية،وفصلت بعض الموظفين ، وقللت من فرص العمل والتعليم المجانى ، وحرمت على طلاب

---

(١٢٤) Mekki, Sh. : The Independent Sudan, P. 476
ومكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٥٢٨ ومكمايكل Mc,..
Michael ; Sir Harold : Anglo — Egyptian Sudan, P. 150 (1934)

(١٢٥) مبارك الريح : ثورة ١٩٢٤ السودانية ص ٥٧

(١٢٦) Mc Michael : Ibid., P. 139.

كلية غردون الاطلاع على الصحف المصرية بعد أن طردت مدرسيهم المصريين(١٢٧) .

ويذكر محمد أحمد محجوب كيف أن « القائمين بأمر الدراسة فى الكلية ، انتهجوا نهجا جديدا بعد حوادث ١٩٢٤ ، فكنا نكنس حجرات الدراسة وعنابر النوم ، ونقضى ساعة أو بعض ساعة فى الهجير اللافح ، ننقل كثبان الرمل من جهة الى جهة أخرى ، ونصلح ذلك الشارع ، ونهدم ذلك البناء ، وهذا ما كانوا يسمونه الطلبة ، لا لذنب جنيناه ، ولكن لأن الفكرة السائدة أن الكتل البشرية التى تهيؤها كلية غردون مد خيبت الآمال(١٢٨) » .

أما خضر حمد ، فيصف تلك الأيام بقوله : « كان الانجليز فى حالة يرثى لها من الحنق والغيظ ... وبدأوا يمارسون أحقادهم على الشعب فى كل ميدان ... وكانت الكلية أحد هذه الميادين ... لقد اجتزنا الامتحان ، ودخلنا الكلية ، وكانت أشبه بسجن مظلم قوانينه صارمة ، وسجانوه أشداء(١٢٩) » .

ولكن على الرغم مما فعله الانجليز ، ظل الاتجاه نحو مصر فى قلوب السودانيين . فقد وصلت الصحف المصرية الى القراء بشتى الوسائل والحيل . « وليس من شك أن ورود الكتب والمجلات وتدفقها على السودان ، كان له أثر بالغ الخطر فى الفكر والسياسة والثقافة . فتأثر أدباء السودان بأدباء مصر ، وشعراؤهم بشعراء مصر ، وجاروهم مقلدين فى بعض الأحيان ، ومنافسين أحيانا ، فى كثير من أغراض

---

(١٢٧) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٥٣٧ ومحمد أحمد محجوب : موت دنيا ص ٨٧ وحسن نجيلة : مجلة القلم ، العدد الاول ، فبراير ، ١٩٦٧ السنة الاولى .

(١٢٨) محمد أحمد محجوب: موت دنيا ص ٢٥

(١٢٩) خضر حمد : مذكرات عن الحركة الوطنية : الاستقلال وما بعده ص ١٩

الشعر وموضوعات البحث والأدب التى كانت تشغل الناس فى تلك الحقبه من الزمان[١٣٠] » •

لقد تحولت حركة المثقفين السودانيين بعد أحداث ١٩٢٤ عن ميدان السياسة ظاهريا الى الناحية الثقافية • فكانت الكتابات الجادة لطـه حسين وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، ومحمد عبد القادر المازنى ، نوافذ رأى المثقفون السودانيون من خلالها العالم الخارجى ، بما فى ذلك العالم الأوربى[١٣١] •

حقا ، كان أثر الثقافة المصرية على المتعلمين كبيرا جدا الى الحد الذى جعل من غير الممكن اغراؤهم بترجيح كفة بريطانيا ، على مصر •

المعهد العلمى بأمدرمان : « نحو أزهر جديد بالسودان »

كانت بريطانيا تدرك أثر الثقافة المصرية والاتجاه نحو مصر • وكان أخشى ما تخشاه من هذه الثقافة ، تلك الثقافة الاسلامية التى يتلقاها الطلاب السودانيون ، فى رحاب الأزهر • لذلك أرسلت السلطات الادارية فى السودان مدير المعارف الى مصر عام ١٩٠١ ، لجمع الطلبة السودانيين ، الذين يدرسون فى الأزهر ، ليكونوا نواة لأزهر جـديد بالسودان • وكان ذلك ضمن خطتها فى تحويل الطلاب السودانيين ، عن الدراسة فى مصر • فأنشأت بالمعهد العلمى بأمدرمان قسما للمعلمين وآخر للقضاء فى عام ١٩٠٣ ، على غرار دار العلوم ومدرسة القضـاء بمصر[١٣٢] • لكنها لما أحست باحكام قبضتها على البلاد ، أهملت شأن المعهد ، وشأن الدراسة به •

---

(١٣٠) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى بين مصر والسودان ص ١٢٦

(١٣١) محمد أحمد شاموق : من هوامش الثورة والسياسة ص ١٦٢
ومحمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية ص ١٤٨

(١٣٢) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٩٦

لكن ما أن تولى الشيخ أبو القاسم هاشم مشيخة العلماء خلفا للشيخ محمد البدوى ، الذى انتقل الى جوار ربه عام ١٩١١ ، حتى جمع العلماء ، وتحدث معهم ، فى أنه يرغب فى أن يجتمع العلماء فى مكان واحد • واستقر الأمر على أن يكون هذا المكان هو « جامع أمدرمان الكبير » ، وانتظمت فيه الدروس على يد نخبة من العلماء • وأحضر الشيخ أبو القاسم لائحة الأزهر ، ووضع المنهج الدراسى على غرارها • وتقررت دراسة جميع العلوم التى تدرس بالأزهر الشريف فى المعهد العلمى ، حتى يكون نواة لأزهر السودان[١٣٣] • ومما جاء بخطبة الافتتاح للعام الدراسى يوم ٢٩ يناير ١٩١٢ ما يلى : « ••• يجب علينا جميعا أن نبذل كل ما فى استطاعتنا ، حتى نقيم لبلادنا معهدا علميا ، كالمعاهد العلمية التى فى غيرها من البلاد •••• وأن حكومتنا أوجدت هذه المشيخة العلمية ومدت لنا يد المساعدة على قوامها • وانى أعلن اليوم افتتاح الدراسة فى هذا الجامع ، مستعينا باسم العليم الفتاح ، وهو حسبنا ونعم الوكيل »[١٣٤] •

وكان من الطبيعى أن يتأثر المعهد بما حدث فى عام ١٩٢٤ • فتجاهلت حكومة السودان أمره وأمر خريجيه • فأصابه الاهمال ، ولم يخف طلابه وخريجيه شوقهم الى مصر ، وحاجتهم الى الدراسة فى الأزهر الشريف ، حيث خبرة العلماء الأجلاء ، والثقة الأصلية فى الدين[١٣٥] •

لذلك فبمجرد أن لاحت بوادر عودة المصريين ، كنتيجة للمفاوضات، التى انتهت بعقد معاهدة ١٩٣٦ ، حتى رحب القضاة الشرعيون وأساتذة المعهد العلمى بذاك غاية الترحيب • بسبب الآمال التى كانوا

---

(١٣٣) للمزيد انظر الشيخ محمد عبد الرحيم : محاضرة عن العروبة فى السودان ص ٤٢ وسليمان كشة : شوق الذكريات ص ١٤١ — ١٤٢

(١٣٤) سليمان كشة : المرجع السابق ص ١٤٢

(١٣٥) محجوب زيادة : الاسلام فى السودان ص ١٣٣

يعقدونها على تطور معهدهم ، نتيجة اتصالهم المباشر بمصر ، مركز الاشعاع الروحى للعالم الاسلامى •

وما أن وقعت معاهدة ١٩٣٦ ، حتى دبت فى السودان بأسره روح جديد ، أعقبـه بعث وطنى مجيـد • واحتضنت الأمة المصرية قضية تحرير السودان ، فهاجر الكثير من طلبة المعهد العلمى — كغيرهم من أبناء السـودان — الى مصر • فرحبت بهم مصر ، وفتحت أبواب جامعاتها ، ودور علمها ، وأزهرهـا لهم ، وأنفقت عليهم الكثير حتى تخرجـوا •

ولما قام مؤتمر الخريجين فى السـودان ، قدم مذكرتين لحكومة السودان ، بخصوص المشاكل التعليمية بالسودان ، وطرق اصلاحها • وكانت المذكرة الأولى تتعلق بالمعهد العلمى بأمدرمان[١٣٦] • وقد طالب فيها المؤتمر بأن تزيد الحكومة المنح المخصصة للمعهـد وأن تدخل فى المناهج العلوم الحديثة ، وأن تضم الى هيئة التدريس أساتذة من ذوى الكفاءة العالية من الأزهر الشريف[١٣٧] •

وكبديل لهذه المطالب ، اقترحت المذكرة بأن تتصل حكومة السودان بحكومة مصر ، لكى يتولى الأزهر ادارة المعهد • لكن لم يقبل هذا الطلب البديل ، جريا على سياسة حكومة السودان فى صد رياح الشمال[١٣٨] •

تكوين قوة دفاع السودان (يناير عام ١٩٢٥) :

يخطىء من يظن أن فكرة انشاء قوة دفاع السودان ، كانت وليدة اغتيال السير لى ستاك « سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان » سنة ١٩٢٤ •

---

(١٣٦) مذكرة مؤتمر الخريجين بشـأن المعهـد العلمى بتـاريخ ١٩٣٩/٤/٢٠ فى دار الوثائق المركزية ، بالخرطوم •

(١٣٧،١٣٨) السودان الجديد ١٩٤٧/٥/٢٠

فالتفكير فى انشاء هذه القوة نبع من رغبة بريطانيا فى تكوين تنظيم قوة سودانية خالصة ، تحل محل الجيش المصرى ، عقب موقعة كررى مباشرة • الا أن ذلك التفكير لم يأخذ طابعه الجـدى الا بعد الحرب العظمى الأولى ، وانتشار الوعى القومى فى السودان(١٣٩) •

ولقد أتاحت الأحـداث التى وقعت عام ١٩٢٤ ، كتمرد طلاب المدرسة الحربية بالخرطوم ، وميلهم أكثر فأكثر ، مثل مجموعات من خريجى كلية غوردون ، صـوب الثقافة المصرية والفكر المصرى • ثم تأسيس « على عبد اللطيف » لجمعية اللواء الأبيض ، ثم مصرع « السير لى ستاك » عام ١٩٢٤ بالقاهرة ، أتاحت هذه الأحداث الفرصة لتبرير القيام بتنفيذ السياسة التى ظلت حكومة السودان تسعى لتنفيذها خلال العامين السابقين • وهى انسحاب القوات المصرية من السودان • وهو ما تم الاتفاق عليه فى لندن فى اجتماع ١٣ أغسطس ١٩٢٤ ، حضره السير لى ستاك حاكم السودان العام ، والمستر ماكدونالد ، والمندوب السامى فى مصر • وتقرر فيه اتخاذ الخطوات اللازمة لمواجهة الحالة المتوترة فى السودان • واستقر رأى المستر ماكدونالد على « أنه فى حالة اذا ما رفضت الحكومة المصرية ، أن تتصرف بأمانة فى السـودان ، فان الحكومة البريطانية سوف تقوم من جانبها بمطالبتها بمغادرة السودان كلية » • كما اتفق فى هذا الاجتماع على مناقشـة الاقتراح الخـاص بانشاء قوة دفاع سودانية(١٤٠) •

وفى هذا ما يفسر قول اللنبى عقب تقديمه انذاره الى سعد باشا زغلول ، بأن كل شىء جاهزا ومعدا فى درج مكتبه •

---

(١٣٩) العميد عبد الرحمن الفكى : تاريخ قوة دفاع السودان ص ٢١
محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ٧٧ — ٧٩
(١٤٠) Palace : Record of Conference held in the room of the Secretary of State at the foreign office on Angust, 13th. 1924.
أورنيك رقم ٦ بدار الوثائق المركزية
وانظر ايضا : Lioyed Lord G. : Egypt since Cromer, P. 133.

بعد تلك الأحداث ، تم اجلاء الفرقة المصرية الرابعة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٤ ، وكانت بقيادة « أحمد بك يحيى » •

وفى ١٧ يناير ١٩٢٥ ، وفى عرض عسكرى عام بأمدرمان ، أعلن الحاكم العام « انشاء قوة دفاع سودانية » فى منشور باسمه جاء فيه :

أولا : أن القوة الجديدة تتبع وتخضع لحاكم عام السودان •

ثانيا : أن حاكم السودان العام هو الذى يعين ويعزل الضباط وجميع البراءات تصدر باسمه •

ثالثا : أنه لما كانت الحكومة المصرية غير قادرة على أن تمضى فى استخدام الضباط السودانيين فى الجيش المصرى ، فان حاكم السودان العام سيقبل فى خدمة قوة الدفاع السودانية ، كل من يراه منهم جديرا بذلك •

رابعا : أن مجرد منح البراءات الجديدة لهؤلاء الضباط ، تتحمل حكومة السودان كل الالتزامات الخاصة بمرتباتهم والمعاشات والمكافآت المستحقة لهم حسب خدمتهم[١٤١] •

ولقد كان واضحا ، منذ اللحظة الأولى ، أن الغرض من انشاء قوة دفاع السـودان ، هو حفظ الأمن الداخلى فى البلاد ، فى شـكل قوة بوليسية ، يقودها ضباط بريطانيون ، بمساعدة قواد سودانيون لأن الفتن الداخلية والمشاحنات القبلية كانت متوقعة ، وهى فوق طـاقة البوليس العادى لاخمادها • أما صيانة هيبة الحكومة ، ورد أى عدوان من الخارج أو على حدود السودان ، فهو من شأن دولتى الحكم الثنائى، بمقتضى معاهدة ١٨٩٩[١٤٢] •

---

(١٤١) عبد الرحمن الفكى : تاريخ قوة دفاع السودان ص ٣٧ ومحمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ١٣٠ وزاهر رياض : السودان المعاصر وضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث .

(١٤٢) عبد الرحمن الفكى : المرجع السابق ص ٤٧

لقد صارت قوة دفاع السودان ، منذ أن أدى ضباطها وجنودها القسم ، تدين بالولاء للحاكم العام ، وجعل ذلك العمل الادارة فى هلع شديد . ذلك أن كثيرا من الضباط كانوا يعتبرون جزءا من قوات الجيش المصرى ، الذين سبق لهم أداء يمين الولاء للملك مصر ، ولم يكن من اليسير التنصل من القسم على القرآن ، الذى أداه كل من الضباط المصريين والسودانيين على الولاء للملك مصر[١٤٣] . الذى كان يدفع مرتباتهم أيضا ، حتى ولو صدرت الأوامر من بريطانيا . وذلك خشية العقاب فى هذه الدنيا والحياة الآخرة[١٤٤] .

ولم يتحقق البريطانيون تماما من الأهمية الحيوية للقسم الا بعد انتهاء تقرير ايوارت ، الذى سجل قلق الضباط وحيرتهم ، بسبب القسم الجديد الذى أدوه[١٤٥] .

لقد عانى البريطانيون كثيرا من أجل حمل المفتى على أن يجد مخرجا يتحلل فيه الضباط السودانيون من القسم السابق للملك مصر ، وعندما أفتى المفتى بأنه يمكن للضباط التحلل من أحد القسمين — المقصود بذلك القسم السابق للملك ، على أن يقوموا باطعام وكسوة عشرة فقراء ، أو بالصيام لمدة ثلاثة أيام — هجر بعض الضباط والجنود العمل بالجيش . اذ اعتبروا أنه من غير الممكن التحلل من القسم الأول .

ومن ناحية أخرى رفضت لجنة العلماء تأييد اقتراح المفتى وظلت هذه المسألة فترة طويلة من الزمن محلا للجدل والحوار فى صفوف الضباط[١٤٦] .

وعندما وصل خبر تشكيل تلك القوة للحكومة المصرية يوم ٢٥

---

(١٤٣) Mekki, Sh. : The Independent Sudan, P. 476

(١٤٤) جعفر م.ع. بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنية ص ١١١

(١٤٥) Ewart, : Report, S.G.A.

(١٤٦) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ١٤٠

يناير ، بادرت باحتجاج جاء فيه « أنه لا يسع الحكومة المصرية الا ابداء أسفها ، على ما رأته من هذا العمل ، الذى لا يتفق وروح المحادثات الودية ، التى كانت دائرة لتحديد مرمى التغيرات التى قد تطرأ على نظام الجيش الموجود . وهى — أى الحكومة المصرية — تقرر أن الظروف العارضة ، والظروف الخاصة بتأليف قوة الدفاع عن الأقاليم السودانية ، لا تؤثر على الموقف ، وهى بذلك تحتج وتحتفظ بحقوقها فى السودان[١٤٧] .

وقد أسدل الستار على هذه الاحتجاجات ، ودارت بين هذا وذاك مكاتبات بخصوص نفقات القوة العسكرية الجديدة بالسودان . فأرسلت الحكومة المصرية مذكرة بتاريخ ١٢ مارس ١٩٢٥ جاء فيها : « أنه نظرا لرغبة مصر فى صيانة الروابط القوية بينها وبين السودان .. ونظرا لاثبات مصلحتها الدائمة فيه ، فقد قرر مجلس الوزراء أن يضع مبلغا سبعمائة وخمسين ألف جنيه مصرى ، تحت تصرف الحكومة السودانية ، لحساب النفقات العسكرية » .

أجاب المندوب السامى فى ١٢ مارس ١٩٢٥ على خطاب الحكومة المصرية مقررا « أن قيام الحكومة المصرية بهذه المشاركة فى النفقات انما هو حق وعدل ، وتوافق على أن يحدد قيمة ما تدفعه لهذا الغرض بمبلغ سبعمائة وخمسين ألف جنيه[١٤٨] » .

وعلى الرغم من انشاء قوة دفاع السودان ، الا أن الضباط السودانيين أصيبوا بخيبة أمل فى الترقيات الى الرتب التى خلت لدى

---

(١٤٧) رئاسة مجلس الوزراء : السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٣ فبراير ٥٣ ص ٣٧ (خطاب مجلس الوزراء الى المندوب السامى بتاريخ ١٢/٣/١٩٢٥ وعبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية جـ ١ ص ٣٧

(١٤٨) Mc Michael, Harold : The Anglo — Egyptian Sudan. P. 162.

ورئاسة مجلس الوزراء : السودان .. ص ٣٧ وعبد الرحمن الفكى تاريخ قوة دفاع السودان ص ٣٩

جيل الضباط المصريين ، ولم يقنعوا بالتطلعات المرسومة أمامهم أو بوضع أقرانهم الذين لم يتم استيعابهم فى قوة دفاع السودان فذهبوا الى مصر ، للانخراط فى الجيش المصرى • واعتقد الضباط ، وبوجه أخص الجيل الصاعد منهم — فى صدق — بأنه ان ساهمت مصر فى ادارة حكم البلاد ، فان مجالا عظيما من الترقى يمكن أن يكون مفتوحا أمامهم• وأن مراكزهم — كأبناء عمومة من ناحية دينية وعرقية وأخوية للمصريين الشركاء فى الحكم — يمكن أن تتحسن كثيرا •

لقد استشعر الضباط أنهم سيكونون ، من ناحية سياسية أكثر تحررا من القيود ، وأقل تعرضا للقهر الاستعمارى •• وعلى العموم لم يعتقدوا أن رجوع المصريين ضار بتطلعاتهم فى المستقبل بل لعل اتصالهم بمصر ، زعيمة التحرر فى الشرق ضد الاستعمار الغربى سيساعد على تحقيق أهدافهم وأغراضهم •

كان الشوق جارفا لمصر وللمصريين • وقد ظهر ذلك عندما دعى المستر « سايمز »[١٤٩] الحاكم العام للسودان ، بعثة تجارية زراعية مصرية ، لتزور السودان لأول مرة ، منذ أن أخرج المصريون بعد حوادث ١٩٢٤ ، وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ • وكانت الدعوة عن طريق رئيس الغرفة التجارية بالخرطوم « المستر كونتو ميخالوس » • وكان هدف البعثة هو التفاوض مع بعض الشركات فى الخرطوم • وكان معظم الشركات فى يد أجانب • ولا نجانب الواقع اذا قلنا ان اقتصاد السودان آنذاك كان فى يدهم • لذلك كان تعليق مجلة الفجر على زيارة البعثة

(١٤٩) هو جورج سايمز ، عين حاكما عاما للسودان عام ٣٣ — ١٩٣٤ تميز عن غيره بالدهاء والواقعية . كان ذا معرفة سابقة بالسودان والسودانيين . فقد شارك فى اخماد ثورة «ود حبوبة» التى قامت بالحلاوين فى عام ١٩٠٨ ، ثم عمل بعد ذلك مساعدا للحاكم العام لشئون الجيش حتى عام ١٩١٩ ، ثم عين بعد ذلك مساعدا لمدير المخابرات وسكرتيرا خاصا لونجت .

بقولها :(١٥٠) « مع من تفاوض وفد مصر ، وعلى مَن من رجال البــلاد عرض خطته ومشروعاته ؟ • وماذا يقولون لاخواننا فى القطر الشقيق ؟• وعما ذا من مميزاتنا وخصائصنا سيتحدثون ؟ وأى خطوة سيقولون انهم قطعوها فعلا فى سبيل التعارف والتعاون الاقتصادى ، بين مصر والسودان ؟ • ومع من أبرموا العهد وأمضوا الميثاق ؟ » •

لذلك كان للدعوة التى وجهها السيد عبد الرحمن المهدى للبعثة ، لتزور الجزيرة « أبا » معناها الكبير • فقد أراد بهذه الدعوة أن يقول لمن أمســكوا زمام الأمر بالســودان ، ان خير الســودان يجب أن يكون للسودان ، وسوف يأتى اليوم الذى يكون التعامل فيه بين المصريين والسودانيين دون وساطة •

كان السيد عبد الرحمن المهدى قد أعد استقبالا حافلا للبعثة ، واتفق مع المسئولين أن يسمحوا له باستعمال الباخرة لنقلهم من كوستى الى الجزيرة أبا ، فوافقوا على ذلك • لكنهم فى اليوم المحدد لاعــداد البــاخرة ، التى ستقل البعثة اعتذروا له ليفسدوا حفــل التكريم ، وليحولوا بين لقاء البعثة والسيد عبد الرحمن المهدى •

وقــد اصطحب السيد عبد الرحمن المهــدى حشودا ضخمة من الأنصار لاستقبال البعثة وأخبرهم بما حدث ، وطلب منهم التوجه الى فرع من النهر يسمى « الجاسر » وطلب منهم ردمه فورا ، حتى تسير العربات التى تقل أعضاء البعثة المصرية ، وتقدم وأخذ بيده حفنة من تراب وقال « بسم الله الرحمن الرحيم » وألقاها على حافة الجاسر • وبعدها شقت تكبيرات الأنصار عنان السماء ، وأخذوا يهيلون التراب على الجاسر حتى ردموه ، واستطاعت البعثة المصرية أن تعبر الجاسر بالسيارات من كوستى الى الجزيرة أبا • وأقيم حفل التكريم فى موعده

---

(١٥٠) مجلة الفجر : العدد ١٩ ، مجلد ١ ، بتاريخ أول مايو ١٩٣٥ دار الوثائق المركزية بالخرطوم .

ولذلك لم يسلم السيد عبد الرحمن المهدى من غضبة الاداريين الانجليز فكان جزاؤه ان سحبوا منه التصديق الذى كانوا قد منحوه اياه بانشاء مشروع زراعى للقطن فى منطقة قوندال بالجزيرة[١٥١] .

فهل نجحت الادارة البريطانية فى السودان فى صد رياح الشمال ؟

قيام مؤتمر الخريجين كوسيلة لصد رياح الشمال :

بعد أن تولى المستر « جورج سايمز » منصبه كحاكم عام للسودان قام بجولة فى مديريات السودان ، مناقشا اداربيه وكبار موظفيه فى السياسة التى يجب اتخاذها فى عهده . لقد أكسبته خبرته بالسودان ، ودراسته للسياسة التى اتبعتها الادارة البريطانية ، عقب أحداث ١٩٢٤ نظرة خالفت سابقيه من الحكام فى محاربة وصد رياح الشمال . فقد رأى أن السلاح الطبيعى لصد النفوذ والتأثر المصرى (رياح الشمال) أو الحيلولة دونه هو التقرب لدى السودانيين ، الذين أشار اليهم تقرير ايوارت بقوله « يجب أن نعترف بأن هناك الآن طبقة فى السودان — وان كانت صغيرة — لكنها ذات أثر فعال . وهى بالضرورة تملك نفوذا أكثر بكثير من حجمها الحقيقى ، وذات أفكار ومطامح وطنية »[١٥٢] .

وكان سايمز قد بنى خطته هذه على أن مصر ستستمر ، من الناحية السياسية — طرفا فى الحكم ، بناءا على اتفاقية الحكم الثنائى والتى وقعت عام ١٨٩٩ م . فوجد من الحكمة أن يعترف لمصر بحقوقها من ناحية المبدأ أو الظاهر . وكان يعرف حق المعرفة أن المفاوضات الدائرة بين المصريين والانجليز ، سوف تنتهى حتما الى عقد اتفاق بين الطرفين ، وهو ما تم بالفعل عام ١٩٣٦ . وكان من بنود الاتفاق عودة النفوذ المصرى الى السودان .

---

(١٥١) حسن نجيلة : ملامح المجتمع السودانيى ج ٢ ص ١٧٦

(١٥٢) S.G.A. : Ewart Report.

لقد أيقن سـايمز بأن عودة النفوذ المصرى الى السـودان مرة أخرى ، سوف يجلب المتاعب للادارة البريطانية . وعلى ذلك رأى أنه لابد من العمل على سودنة الادارة ، وذلك بتدريب السـودانيين فى المستوى الذى يلى الثانوية ، حتى يشغلوا أكبر عدد من المناصب الادارية والفنية الصغيرة والوسطى . وهو أمر شرعت الادارة البريطانية فى تحقيقه على حساب النفوذ المصرى فى العشرينات[١٥٣] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى سوف يتخذ سايمز هذه العملية كذريعة لمقاومة ومجابهة طلبات المصريين ، للحصول على وظائف أكثر فى السودان ، خاصة بعد توقيع اتفاقية ١٩٣٦ . وفى تلك الحالة سيظهر بمظهر المدافع عن حق الخريجين السودانيين ، فى الحصول على مثل تلك الوظائف ، فيكسـب ودهم . وهـذا فى مقـابل أن تقتصر وظـائف البريطانيين على المناصب الكبرى ، ذات الأثر التوجيهى العام والمهام[١٥٤]

من هذا المنطلق ، وضـع سـايمز خطته لكسـب ود الخريجين السودانيين ، حتى لا يتجهوا ناحية الشمال ، أى ناحية مصر . لذلك كان دائم الحوار مع موظفيه ومعاونيه[١٥٥] ، حول الوسائل التى يمكن بها « نجلزة الخريجين » ، وتحسين علاقات الزمالة بين صفوف العاملين فى الخدمة المدنية[١٥٦] .

---

(١٥٣) S.G.A. : Political Memorandum on the Anglo—Egyptian Sudan, June, 1935 — Northern Province 1/15

وجعفر محمد على بخيت : الادارة البريطانية والحركة الوطنيـة فى السودان ص ٢٤٤ .

(١٥٤) جعفر بخيت : الادارة البريطانيـة والحركة الوطنيـة فى السودان ص ٢٤٤

S.G.A. : Political Memorandum .. on the Anglo-Egyptian Sudan, June, 1935, Northern Province 1/15.

(١٥٥) Northern Governer's Meeting, December, 1934, Northern, 1/16 & N.G.M., July, 1935, North. 1/15, & N.G.M., 1938.

(١٥٦) جعفر بخيت : المرجع السابق : ص ٢٩٦

كان سايمز ، الخبير بأسرار العربية ، يعرف حق المعرفة مدى ما انطوت عليه الثقافة المصرية من جاذبية للطلاب السودانيين فشجع الخريجين على زيارة بريطانيا ، وعمل على ارسال البعثات للدراسة فى الجامعات الانجليزية . كما حرص على أن يمثلوا فى الوفد السودانى الذى توجه الى المملكة المتحدة ، لحضور حفل التتويج الملكى فى مايو عام ١٩٣٧ .

علاوة على ذلك ، بذل سايمز قصارى جهده ، فى تحويل النشاط السياسى للصفوة ، الى خدمة السلطات البلدية والمحلية . فقامت حكومة السودان باصدار قانون الحكومات المحلية ، ولوائح المجالس الريفية فى عامى ١٩٣٨/٣٧[١٥٧] .

وبالرغم من كل هذه الجهود ، الا أن حكومة السودان ، وعلى رأسها المستر سايمز ، لم تستطع أن تحول جهد المثقفين الى هذا الميدان لأنهم كانوا يريدون تسلم المواقع السياسية فى البلاد . لأن الشعور الذى كان سائدا بينهم أنهم حرموا من امتيازات وحقوق كثيرة بسبب بعدهم عن المراكز القيادية فى بلدهم . لذلك كانت أولى خطوات سايمز لكسب ودهم ، هو موافقته على قيام مؤتمر للخريجين السودانيين وكان الخريجون فى تلك الفترة قد قرروا قيام هيئة تجمعهم ، يكون لها صفة تمثيلهم[١٥٨] . فتشكلت آنذاك لجنة المؤتمر التنفيذية ، وكانت من كبار الخريجين وكبار الموظفين . وبالطبع كان لابد لهذه اللجنة أن تكتب للحكومة ، كى تخطرها بقيام هيئة اسمها « مؤتمر الخريجين » لتحصل على التصديق المبدئى بقيامها ، الى أن يضعوا الدستور الذى سيحدد

---

(١٥٧) زاهر رياض : تاريخ السودان المعاصر ص ٢٧١ — ٢٧٢ ومكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٥٤٢ ومحمد أ. محجوب : الحكومات المحلية .

(١٥٨) خضر حمد : مذكرات خضر حمد : الاستقلال وما بعده ص ٨٨ واحمد خير : كفاح جيل ، وضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث .

الوسائل والأغراض • ولكنهم كانوا مترددين : هل ستوافق الحكومة أم ستعتبرهم قد أقدموا على عمل « لا تؤيده أو تشجعه[١٥٩] ؟ » •

ظل الخريجون فى هذه الحيرة حتى وصلتهم صورة من خطاب بعث به السكرتير الادارى ، وبتوجيه من الحاكم العام الى المديرين ، يحدد لهم طريقة استقبال المولود الجـديد ، وسمى « تمؤتمر الخريجين » وقد جاء فيـه : « أن على المديرين أن يقابلوا هـذه الحركة بأعصـاب هادئة لأن هذا القطر لابد أن يتأثر بالحركات التى قامت حوله فى البلاد العربية كمصر وسوريا ولبنان • ولا غرابة فى أن تنتقل العـدوى الى هنا ، لأسباب كثيرة تربط السودان بتلك البلاد • فهو لايريد أن يجابه حركة المؤتمر بالعداء أو الشك من أول مرة ، فيخلق لها مكانة أكثر مما يستحق • ولذلك فهو يوصى جميـع المديرين فى المديريات ورؤسـاء المصالح ، وكبار الموظفين الانجليز ، أن يقابلوا هـذه الحركة بأعصاب هـادئة ، خصوصا وأن الذين جاء بهم الانتخاب فى المقدمة هم كبـار الموظفين المعقولين[١٦٠] » •

ويشرح لنا الأستاذ خضر حمد كيف وصل لهم هذا الخطاب بقوله « كان ذلك عن طريق صديق يدعى عبد الرحيم فرحان ، كان يعمل فى كسلا وكان مولعا بالحصول على الأسرار والمستندات السرية •• قرأنا الخطاب وسر به المرحوم عبد الله ميرغنى •• وأخذه وحرص على أن يضعه دون أن يراه أحد على مائدة الاجتماع ، ووضعه قبل الاجتماع بدقائق ، ووقف بعيدا فى فرندة النادى يراقبه ، حتى لا يدخل أحد من غير أعضاء اللجنة فيتناوله • ودخل الأعضاء الى القاعة ، وكان الخطاب قريبا من السيد محمد صالح الشنقيطى ، الذى تناوله وأخذ يقرأه •

---

(١٥٩) Haskins, Halford : The Middle East Problem, Area in word politics. P. 92 — 93 (N.Y., Macmillan Co., 1942).

(١٦٠) S.G.A. Civil Secretary to Governers and heads of Departments 28/3/1938.

وكلما قرأ سطرا أبدى دهشته ، ثم أسمع المجتمعين ما كان فى الخطاب ، وفى تلك اللحظة انحلت العقدة وبدأوا يكتبون الخطاب »(١٦١).

وبالرغم من أن مصر تشككت فى نوايا المؤتمر ، واعتبرته من خلق السياسة الانجليزية فى السودان ، الا أن زيارة على ماهر باشا للسودان فى فبراير ١٩٤٠ أتاحت انفتاحا مصريا على السودان . فتمكنت من مد جسور الحوار مع مؤتمر الخريجين(١٦٢) . لقد طالب المؤتمر بأن يكون له نصيب فى تكريم على ماهر . فسمح الحاكم العام لهم بجزء من وقت الضيف ، على أن يكون ذلك فى حفلة بالمعنى المعروف ، وألا يكون هناك تجمع ، وأن يكون أعضـاء المؤتمر مسئولين عن حفظ الأمن . ويقول الاسـتاذ خضر حمد « قبلنا بكل الشروط .. وسهلنا المهمـة ، وبسطنا الموضوع الى الحد الذى اطمأنوا به على أن الحفلة ستكون هزيلة وأن التجمع فيها لن يكون له أثر ، وهذا كل همهم . كانوا يريدون أن يفهموا على ماهر ومن معه أن مصرليس لها فى السودان شىء » .

« .. أما نحن فقد أعددنا أنفسنا لحفـل ضخم ، احتشدت له الجماهير ، وصعدت الى أسطح المنـازل المجاورة للنـادى ، وأعددنا خطتنا ، وجاء على ماهر باشا ، ولم يحضر معه أحد من الانجليز . ومن مدخل أمدرمان حتى النادى ، كان الناس يهتفون له ولمصر والسودان كان الحفل محترما أغاظ الانجليز ، وأثارهم ، بقدر ما سر كل مواطن وخصوصا الضيوف ، وكنا ، الى جانب هذه الرسميات ، قد أعددنا مذكرة لعلى ماهر باشا فيها مطالب .. لم تكن سياسية .. اتفقنا على أن تسلم له فى الشجرة ، لأنه كان سيتناول الغداء فيها . وأعددنا كل شىء وصار كل شىء كما أعددناه »(١٦٣).

---

(١٦١) خضر حمد : الاستقلال وما بعده ص ٨٨ و S.G.A. : Sudan Monthly Record. April, 1938.

(١٦٢)

(١٦٣) خضر حمد : الاستقلال وما بعـده ص ٩٨ — ٩٩ وبداولات اللجنـة التنفيـذية اجتماع رقم ١٠ بتاريخ ١٩٤٠/٢/٢٤ (دار الوثائق المركزية بالخرطوم) .

ومن الملائم أن نورد هنا ديباجة هذه المذكرة : « يا صاحب المقام الرفيع : أن حرص مصر والسودان معا على تقوية الروابط المقدسة بين القطرين لمما يشجعنا أن نتقدم الى الأمة المصرية ببعض الالتماسات التى نرى أنها تقوى ما بين القطريين ، من عرى المودة والاخاء وستبقى ذكراها التاريخية ماثلة بجانب مآثر مصر العديدة ، ناطقة بحسن الصنيع ، حافظة لعهد صلاتنا الأبدية ولا ندعى أننا بذلك نقترح على الأمة المصرية مالم يخطر لها ببال ، أو ما لم يسبق لها التفكير فيه • كلا — فنحن نعلم أن فيض مصر قد غمر الشرق كله ، وأن اهتمامها بشئون بلاد العروبة والاسلام ، الذى يبوئها منصب الزعامة على بلاد الشرق العربى قاطبة ذلك الاهتمام • فمن الطبيعى أن نتجه نحو الشطر الأعلى لوادى النيل أولا • وليس هذا الذى نقدمه اليوم من الالتماسات ، التى قد تدخل فى نطاق أعمال الاصلاح هو كل ما نعلمه ونأمله فى مصر الشقيقة • كلا ، فآمال السودان لارتباط شئونه الحيوية والسياسية الكبرى بمصر لهى أوسع وأسمى من هذا بكثير ، ولكننا نتقدم بها لنؤكد أن السودان اذا ضاقت موارده لا يأنف أن يلتمس من مصر ما يرى أنه عاجز عن القيام به فى ميدان الاصلاح الاجتماعى ، كما لا يأنف الأخ أن يطلب من أخيه ، لما بينهما من عرى المودة والاخاء(١٦٤) » •

لقد أثارت هذه المذكرة السكرتير الادارى « نيوبولد » فى ذلك الوقت ، واعتبرها خطأ من أخطاء المؤتمر • فقد قال « •• أن •• المؤتمر لم يلعب وفق الأصول ، لأنه تجاهل الحكومة ، وخاطب العالم الخارجى دون أى اخطار أو مشورة »(١٦٥) ومع ذلك لم تستطع الادارة البريطانية اتخاذ أى قرار لوقف نشاط المؤتمر نتيجة لظروف الحرب

---

(١٦٤) مداولات اللجنة التنفيذية اجتماع رقم ١٠ بتاريخ ١٩٤٠/٢/٢٤ وخضر : المرجع السابق ص ٣٤٣

(١٦٥) جعفر بخيت : الادارة البريطانية .. ص ٣٠٨ وخضر حمد : الاستقلال وما بعده ص ٩٨ — ٩٩ .

الثانية آنذاك • بل زادت المطالبة داخل المؤتمر بالمزيد من التعاون مع مصر ، والمناداة بوحدة البلدين[١٦٦] » •

والسؤال مرة أخرى : هل استطاعت بريطانيا أن تصـد رياح الشمال ؟

اذا ما انتقلنا الى مجال التعليم ، نجد خوف الانجليز من مصر ومن مدارس مصرية ، تشرف عليها حكومة مصر ، وتنشر الثقافة المصرية، ومعها أفكار لا تريدها حكومة السودان • لذلك حرصت الحكومة — بعد استعادته — أن تستأثر بالأمر فيه وحـدها • فوضعت التعليم تحت اشرافها ، ووضعت له الخطط والبرامج ، التى كانت تراها كفيلة بتدعيم نفوذها فى السودان • فعملت أولا على ضم المدرستان المصريتان اللتين كانتا فى العهد التركى ، فى سواكن وحلفا ، الىوزارة المعارف لسودانية• ولم تترك لمصر أى جهد فى هذا المجال ، سوى ارسال مدرسين الى كلية غردون الذى قتله الأنصار عام ١٨٨٥[١٦٧] •

وفى أعقاب ثورة ١٩١٩ هاجر عدد كبير من الأقباط المصريين الى فلسطين والسودان • ولكنهم قصدوا السودان بأعداد كبيرة فتلقفتهم الادارة البريطانية هناك وعينتهم فى مصلحة السكك الحديدية والبنوك والشركات الأجنبية • وبمرور الزمن زاد عددهم • لذلك سعت الكلية القبطية لدى السلطات البريطانية فى السودان للسماح لها بفتح مدارس لتعليم أبناء وبنات الأقباط المصريين • فوافقت على ذلك[١٦٨] • وظل المصريون المقيمون فى السودان يعتمدون على هذه المدارس فى تعليم أبنائهم • لذلك طالبوا باصلاحها ورعايتها ، ممـا حدا بالحكومة المصرية منذ عام ١٩٣٤ ، أن تولى هذه المدارس اهتمامها فشكلتلذلك لجنـة

---

(١٦٦) مداولات المؤتمر العام بتاريخ ١٩٤١/١٢/٢٩ — دار الوثائق المركزية •

(١٦٧) للمزيد عن تطور التعليم بصفة عامة فى السودان انظر :
M.O. Bashir : Educational Development in the Sudan 1898 — 1956. Oxford, 1969.

(١٦٨) حاجة كاشف : وضع المرأةفىتاريخ السودان المعاصر ص ٥٠ •

خاصة ، قدمت تقريرا للحكومة المصرية عن هذه المدارس ، ومستوى التعليم فيها • وبناءا على تقرير اللجنة قررت الحكومة المصرية أن تدفع اعانة للمدارس القبطية فى السودان ، قدرها ثمانمائة وعشرون جنيها كل عام[١٦٩] •

لكن الحكومة المصرية لم ترض عن سياسة المدارس القبطية فى السودان ، ولا عن مستواها العلمى كثيرا • لذلك انتهزت الحكومة المصرية فرصة عودة المياه الى مجاريها بين مصر وبريطانيا ، عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ • ففكرت فى انشاء مدارس مصرية فى السودان تحت اشرافها ، كما كان الحال فى العهد التركى •

وكان لقرار الحكومة المصرية (حكومة النحاس باشا) ، الذى اتخذته بانشاء مدرسة مصرية ثانوية بالخرطوم وقع شديد هز الادارة البريطانية • حيث تخوفت من جانب مصر ومدارسها • كما حدث نفس الأثر لدى الأب يوحنا سلامة رئيس لجنة مدارس الأقباط بالسودان ، لأنه رأى فى ذلك الأمر ما يهدد مدارسه بخطر داهم ، بل ربما يؤدى الى الغائها •

والواقع ، لقد كان الانجليز يعطفون على مدارس الأقباط فى السودان ، ولا يخافون منها ، ويتمنون أن لو استطاعت أن تفى بحاجة التعليم ، لكل المصريين الموجودين بالسودان • فهذه المدارس تقبل أن يشرف عليها الانجليز اشرافا مباشرا فى جميع أوجه نشاطها ، ومناهج تعليمها[١٧٠] •

ازاء ذلك كتب المستر نيوبولد السكرتير الادارى لحكومة السودان ، مذكرة اضافية عارض فيها فكرة انشاء مدرسة مصرية فى الخرطوم ، وركز حجته فى نقطتين رئيسيتين :

الأولى سياسة ، والثانية تعليمية • فهو يرى أن المدرسة ستكون

---

(١٦٩) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى ص ٥٠ .
(١٧٠) ابراهيم الحاردلو : المرجع السابق ص ٥٨ .

نوعا من مراكز الثقـــافة المصرية الموجهـــة ، من القـــاهرة ، كالأفلام والمسرحيات والمنـــاظرات •

لقد تبودلت العديد من المذكرات بين الحـــاكم العام والسكرتير الادارى لحكومة السودان بالخرطوم ، وبين وكيـــل حكومة السودان والسفارة البريطانية فى القاهرة(١٧١) • وتدخل أشخاص مثل أمين عثمان وغيره ، كى تقـــام هذه المدرسة • ووضعت العراقيل أمامها ، والشروط التى تضمن لحكومة السودان تجنب كل النتائج التى تخشاها ، من جراء انشاء هذه المدرسة ، وأن تكون مقصورة على المصريين فقط ، ولا يقبل فيها طالب سودانى ، وألا تكون حكومية ، وتصبح فى عـــداد المدارس الأهلية • وأن تخضع لاجراء تفتيش دورى من مدير المعارف بالخرطوم واستخدم أسلوب التسويف والمماطلة ، منذ أن صـــدر قرار حكومة النحـــاس عـــام ١٩٣٨ ، حتى تقرر بدء الدراسة بالمدرسة فى ٨ يناير ١٩٤٤ ، ازاء اصرار الحكومة المصرية ، وتدخـــل السفارة البريطانيـــة بالقـــاهرة لاقناع حكومة السودان بفتح هذه المدرسة •

ولكن على الرغم من أن الدراسة قد بدأت فى المدرسة المصرية فى ٨ ينـــاير ١٩٤٤ ، الا أنها لم تفتتح رسميا حتى يناير ١٩٤٦ ••• وكان افتتاحها مناسبة كبرى أضفت على السياسة والصراع ، الذى كان على أشده فى هـــذا العـــام ، مظهر المظـــاهرة السياسية ، فى كل من مصر والسودان • فقرر وزير المعارف المصرى « السنهورى باشا » أن يذهب بنفسه الى الخرطوم ، يصحبه وزير الأشغال ، لحضور افتتاح المدرسة ، واهتمت الصحافة المصرية بهذا الحدث أكبر اهتمام ، وحض مندوبوها

---

(١٧١) انظر خطاب وكيل حكومة السودان بتاريخ ١٩٣٨/٦/١٧ ، ومذكرة المســـتر نيوبولد بتـــاريخ ١٩٣٩/١١/١٥ والتى نشرها ابراهيم الحاردلو فى نهاية كتابه الرباط الثقافى :
S.A./17 D3 Egyptian Secondary School.
بتاريخ : ٨ — ٤ — ٤٣ و ٩ — ٤ و ٢٠ — ٤ و ١٥ — ٦ و ٢٦ — ٦ و ١٥ — ٧ و ٤ — ٨ و ١٦ — ٨ و ٢٦ — ٨ و ١٧ — ٩ و ٨ — ١٠ .

على السفر للسودان لحضور الافتتاح[١٧٢] . تقول حاجة كاشف « ان انشاء هذه المدرسة كان يعتبر حجر الزاوية فى تاريخ التعليم المصرى فى السودان »[١٧٣] . ولم ينقض العام حتى انشئت مدرسة « جبل الأولياء » الاعدادية للجنسين . وبعد عام واحد من انشائها فتحت مدرسة مصرية فى ملكال ، وهى وان كانت مختلطة ، الا أن السودانيين لم يستفيدوا منها كثيرا ، خاصة البنات[١٧٤] .

لقد شهد عام ١٩٤٧ اهتماما كبيرا من الحكومة المصرية بانشاء المزيد من المدارس المصرية فى السودان . وبالطبع زادت حدة الخلاف بين الجانبين المصرى والبريطانى ، بسبب هذا الموضوع ، وأصر كل طرف على موقفه . لكن فى النهاية لم تستطع بريطانيا أن تصد رياح الشمال . فبعد توقيع اتفاقية السودان عام ١٩٥٣ شهدت أكثر المدن السودانية قيام مدارس مصرية ، تعاون فيها الأهالى مع الحكومة المصرية . وانتشر التعليم فى شمال وجنوب وشرق وغرب البلاد . تقوده المدارس المختلطة فى المراحل الابتدائية والاعدادية ، ومدارس للبنات وأخرى للبنين فى المراحل الثانوية . وبالاضافة للمدارس التى تشرف عليها البعثة المصرية ، كان هناك مدارس خاصة تسير على المنهج المصرى ، وعددها خمس مدارس : مدرستان ابتدائيتان ملحق بهما روضتان للبنات ، ومدرسة اعدادية واحدة . وكل هذه المدارس فى العاصمة المثلثة .

وتحقيقا لرغبة الكثيرين من السودانيين ، سواء كانوا من خريجى المدارس الثانوية المصرية ، أو المدارس الثانوية السودانية ، الذين يريدون اكمال تعليمهم الجامعى فى السودان ، وتذليلا لكثير من العقبات ، واتاحة الفرصة للذين لا تمكنهم ظروفهم من السفر ، وتعميقا

---

(١٧٢) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى ص ٧٩ .

(١٧٣) حاجة كاشف : وضع المراة فى تاريخ السودان المعاصر ص ٦٠ .

(١٧٤) حاجة كاشف : المرجع السابق ص ٦١ .

للصلات الثقافية بين البلدين ، فقد انشئت جامعة القاهرة فرع الخرطوم بمقتضى اتفاقيـــة ثنائيـــة عقدت عـــام ١٩٥٥ ، بين حكومة السودان والحكومة المصرية[١٧٥] .

تقول حاجة كاشف أن المسئولين عن التعليم المصرى فى السودان ، لا يعملون على أساس تقديم نوع مختلف من التعليم والثقافة للمجتمع . بل انهم يتلمسون احتياجات السودانيين فى مجال التعليم ، ويحاولون سد النقص[١٧٦] . وأصبح السودانيون يرون فى المدارس المصرية عونا على نشر التعليم والثقافة ، ولم تعد ضربا من النفوذ المصرى ، كما كان يحسبها الانجليز وبعض السودانيين فى الماضى ، هذا بالنسبة للمدارس المصرية ، أما بالنسبة لكلية غردون ، التى دعا كتشنر الشعب البريطانى للتبرع لبنائها ، لكى تبقى شاهدا على مصرع البطل — فى زعمهم — مخلدة ذكراه[١٧٧]، فقد بدأت بالمراحل التعليمية من الابتدائية حتى الثانوية وكان عدد الطلاب فيها عـــام ١٩٠٣ نحو ١٥٠ طالبا : منهم ٥٨ من مصر والشام ، والباقون من السودانيين[١٧٨] . لكن القسم الثانوى فيهـــا لم ينشـــأ الا عـــام ١٩٠٥[١٧٩] .

وبالرغم من التخطيط المحكم ، الذى وضعه الانجليز لكى تصبح كلية غردون كلية انجليزية ، شكلا ومضمونا ، الا أن الظروف المحليـــة والعالمية لم تمكن الانجليز من السير فى هذا المجال الى مداه البعيد . فقد حظيت هذه الكلية بنخبـــة ممتازة من الأساتذة المصريين ، الذين جمعوا بين الوطنية والعلم[١٨٠] . فكانوا ، بحق ، سندا للوعى الوطنى

---

(١٧٥) حاجة كاشف : المرجع السابق ص ٦٢ .
(١٧٦) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى ص ١٠٤ .
(١٧٧) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٤٩٨ .
(١٧٨) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربيةفىالسودان ص ١٤٥
(١٧٩) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ٥٧
ومكى شبيكة : نفس المرجع ص ٥٠٠ .
(١٨٠) مكى شبيكة : نفس المرجع ص ٥٠٠ .

بين الطلبة السودانيين • وكان منهم قادة الحركة السياسية والأدبية والوزراء ، بعد استقلال السودان •

فيذكر الدكتور عبد المجيد عابدين : أن أول ناظر لكلية غردون كان الأستاذ أحمد هدايت ، وأن عدد الأساتذة المصريين بالكلية بلغ الخمسين أو يزيد[١٨١] •

لقد حرص الأنجليز على أين يكون طلاب هذه الكلية على شاكلة معينة ، وحاولوا بكل الطرق ، ومختلف الأساليب ، أن لا يمتد بصيص من ثقافة مصر وأفكارها لهم • فحرموا على طلابها الاطلاع على الصحف والمجلات المصرية ، خاصة بعد هروب عدد من طلابها الى مصر عام ١٩٢٣ ، وهو ما أشرنا اليه من قبل • كما أن ما حدث عام ١٩٢٤ نبه القائمين على الأمر بالكلية ، الى دور الأساتذة المصريين بها ، مما ضاعف من الخوف لديهم ، خاصة وأن اتجاه المثقفين ، الذين شاركوا فى ثورة ١٩٢٤ كان ناحية مصر • لذلك ما أن وقع حادث أغتيال السردار وتفجر الموقف فى السودان عقب أحداث ١٩٢٤ ، الا وكان الأساتذة المصريين من بين المطرودين من السودان[١٨٢] •

لكن أمر أنفراد الأنجليز بالسودان لم يستمر طويلا • فقد أتاحت اتفاقية عام ١٩٣٦ انفتاحا على مصر ، وأدت زيارة على ماهر للسودان عام ١٩٤٠ الى انفتاح مصرى على مؤتمر الخريجين السودانى • فعادت الأواصر بين البلدين أقوى ما تكون ، وهو ما حدا حكومة السودان كى توقف سيل تدفق الطلبة السودانيين الراغبين لدراسة فى مصر ، ولكى توقف نشاط المدرسة المصرية بالخرطوم ، الى

---

(١٨١) عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ١٤٥ •

(١٨٢) ابراهيم الحاردلو : الرباط الثقافى بين مصر والسودان ص ١١٣ •

أن تحول المدارس العليا الى كلية غردون ،وهو ما حدث سنة ١٩٤٥ [١٨٣] .

لقد شـــهد عام ١٩٤٥ صراعا عنيفا بين الحكومة المصرية وحكومة السودان حول كلية غردون . فقد صار المستر نيوبولد السكرتير الادارى لحكومة السودان ، رئيسا لمجلس الكلية عام ١٩٤٤ . وكان يرى أن تتجه كلية غردون فى علاقاتها الى أنجلترا ، ثم نحـــو الجنوب الى أفريقيا . وكانت حكومة مصر تســـعى لأن تتجــه كليـــة غردون الى الجامعـــة المصرية[١٨٤] .

وربما أتاح تبنى الأنجليز لانشاء كيان سودانى مستقل ، والذى أخذوا به مكرهين عندما أدركوا أن رياح التغيير ، التى أخذت تهب من كل جانب سوف تذهب بسلطتهم من معظم دول أفريقيا ، وفى مقدمتها السودان ، ومصر[١٨٥] ــ نقول أتاحت هذه الظروف للمستر نيوبولد أن يطالب بأن تكون كلية غردون مستقلة عن كافة الجامعات . لكن الزمن لم يكن زمن عزلة فالكل كان ينشد التعاون ، ومد يد العون فى كل مجال ، عقب أحداث الحرب العالمية الثانية . ولذلك أصبح من الضرورى أن تكون لكلية غردون بعض الروابط ، مع الجامعات المجاورة مثل جامعة ماكريرى بأوغندا ، وجامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، وجامعة بيروت ، وجامعـــة لندن .

لكن بريطانيا لم تستطع أن توقف رياح الشمال . فقد شـــهدت مصر عـــام ١٩٤٦ تدفق الآلاف من الطلبة السودانيين للدراسة بها . ووصف المستر « ولشر » عميد كلية غردون ذلك بأنه مؤامرة مصرية ضد كلية غردون ، وطالب بأن تتخذ خطوات رسمية ، لبحث هذا الأمر ، ووقف نزوح الطلبـــة السودانيين للدراســـة بمصر . غير أنه جهوده وجهود

---

(١٨٣) K.D.D. Henderson : The making of the Modern Sudan. (London : 1953), P. 405.

(١٨٤) الحاردلو : المرجع السابق ص ١٢٢ .

(١٨٥) الحادلو : الرباط الثقافى .. ص ٥٣ و ١٣٣ و ١٣٤ .

حكومة السودان ، ذهبت أدراج الرياح . وظلت علاقة كليـــة غردون بالجامعة المصرية ، تتأرجح بين القطيعة والصـــلة . فهى لاتنــدر على القطيعة الكاملة ، ولا ترغب فى الصلة الوثيقة . واستمرت هذه العلاقة تظللها غمامات من الشك والحذر . وظلت كلية غردون ترسل خريجيها للدراسات العليـــا ، الى الجامعـــة الأمريكية ببيروت أولا ، ثم الى الجامعات الانجليزية فى الأربعينات وما بعدها . ولا ندرى متى أخذت تبعث بخريجيها الى مصر ، هل بعد الاستقلال أم قبله بقليل[١٨٦] .

وعندما تفجرت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، قرر ساسة مصر الجدد هجر السياسة التقليدية للحكومات المصرية السابقة . فى مسألة السودان . واتفقوا مع حزب الأمـــة السودانى صراحة بأن يكون للسودانيين حق تقرير المصير ، وتم الوصول الى اتفاق مماثل مع الأحزاب الاتحـــادية فى ١٠ فبراير ١٩٥٣ ، بعد جهـــد جهيد . اذ كانت عملية توحيد صفوف الاتحاديين وقتها « ضربا من الخيـــال ، فما يمكن أن يوافق عليه هذا الحزب يرفضه الحزب الآخر . حتى حزب الأشقاء ــ وهو أكبر الأحزاب الاتحادية آنذاك ، منشق على نفسه ، رئيسه اسماعيل الأزهرى وجناح آخر رئيسه محمد نور الدين »[١٨٧] . وكانت صحف حزب الأمة تصف محمد نور الدين بأنه « المداح أبو طارة »[١٨٨] .

---

(١٨٦) الحاردلو : الرباط الثقافى .. ص ٥٣ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

(١٨٧،١٨٨) جريدة الشرق الأوسط (يومية) ، مذكرات من اعداد محمد سعيد محمـــد الحسن ، الحلقـــة الثالثة بتـــاريخ ١٩٨٥/١٠/٥ . عن مذكرات للصاغ صلاح سالم ، كان قد اعطاها لصديقه الأستاذ حسن نخيلة ، للاطلاع عليها ، وطلب منه عدم نشر شىء عنهـــا لحين الالتقاء به . لكن صلاح سالم أنتقل الى رحمة الله ، ولم يتم اللقاء . فانتقلت هذه المذكرات الى المـــؤرخ اللواء عبد الرحمن الفكى . واستطاع معد هذه الحلقـــات الاطلاع عليها ، ولقاء شخصيات عاصرت هذه الفترة .

ومحمد سعيد محمـــد الحسن ، من كبار الصحفيين السودانيين . شغل عدة مناصب صحفية مهمة ، من بينها نائب رئيس تحرير « الرأى العام » الأسبوعية ، ومدير تحرير الصحافة اليومية حتى عام ١٩٧٤ ، ومدير وكالة الأنباء الفرنسية فى الخرطوم لأكثر من عشر سنوات ، والف عدة كتب من بينها (شخصيات صحفية عرفتها) .

والحق ، لقد كان هناك أكثر من سبب لهذا التنافر ، بين الذين آمنوا بمبدأ واحد • « كان لكل حـزب مفهوم معين فى تحـديد نوع الاتحـاد ، الذى يسعى الى تحقيقه • وكان الصاغ صلاح سالم يمضى معظم ساعات النهار ، وساعات الليل ، متنقلا بين زعماء أحزاب الاتحاد بفندق سميراميس • وكان ما يقبل به الأزهرى ، يرفضه نور الدين ويثير ثائرة حماد توفيق ، ويضايق الطبيب محمد خير ، ويثير تحفظ خضر حمد ، وخضر عمر ، وميرغنى حمزة ••• وهكذا • وكاد اليأس ، أن يصيبه ، كما أصاب بعض الزعماء السياسيين • اذ كان هناك اقتناع بأن الخلاف بينهم أعنف وأعمق من أن يعالجـه اجتماعات أو وساطات ••• ولمس أحد الاتحاديين الشبان الاعياء باديا على الصاغ صـلاح سالم ، فقال له : « يا أخى أنتم وديتم نفسكم فى داهية وعرضتم حياتكم للضياع علشـان تخلصـوا من السياسيين عندكم •••• (وقتهـا كان معظم السياسيين المصريين القدامى معتقلين فى مبنى الثانويـة العسـكرية) بالله عليكم تريحونا من السياسيين بتوعنـا كمان ، وكلهم موجودين فى مكان واحـد ، وترسلوهم للثانوية العسكرية بتاعتكم ، وتكونوا بذلك حققتم وحدة وادى النيـل عمليا وبأسلوب جديد » • وبالطبع كان ذلك دعابة من هذا الشاب ، انطلقت بعد قليل الى كل غرف الفندق ، فأضفت جوا مرحا للحظـات ، وسط الاجتماعات الواجمة ، والوجوه العابسة ، والمناقشات الحـادة[١٨٩] •

لقد كان اتفاق رجال الثورة المصرية مع الأحزاب السودانية نصرا مؤزرا ، سواء للنظـام المصرى الجديد ، أو للساسة السودانيين[١٩٠] •

---

(١٨٩) الشرق الأوسط : الصاغ صلاح سالم والسودان ، الحلقة الثالثة ، ... اعداد محمد سعيد محمد الحسن •

(١٩٠) محمد عمر بشير : الحركة الوطنية فى السودان ص ٣٣٢ وضرار صالح ضرار : تاريـخ السودان الحديث ص ٢٦٥ وعبد اللطيف بغدادى : مذكرات عبد اللطيف بغدادى ج ١ ص ٧٤ •

وقد مهدت مبادرة مصر الطريق لاتمام الاتفاق مع بريطانيا ، الذى تم فى ١٣ فبراير ١٩٥٣ ، بشأن الحكم الذاتى ، وتقرير المصير •

كان أول ما نصت عليه هذه الاتفاقية ، اجراء انتخابات عامة ، باشراف لجنة دولية تتكون من سبعة أعضاء • وكانت هذه أول مرة تجرى فيها معركة انتخابية شاملة فى البلاد • يقول الصاغ صلاح سالم : « لم يكن هناك من يعتقد ، قبل اجراء هذه الانتخابات ، بامكان فوز الاتحاديين (الحزب الوطنى الاتحادى) ، لاشراف الادارة البريطانية الكامل على كل شىء فى البلاد ، وكان حزب الأمة قريبا منهم ، وكان الانجليز الحاكمين للسودان ، يعرفون السودان ، وأحواله ، وقبائله ، ولغاته ، وعاداته ، بحكم خبرتهم الطويلة فى هذه البلاد ، أكثر من أهل البلاد أنفسهم ••• وكانت كل المعلومات ، والبيانات ، لدى الادارة البريطانية ، حتى لجنة الانتخابات الدولية ، استقت كل معلوماتها من الادارة البريطانية فى السودان »(١٩١) •

ثم ان خطط الانجليز ، وعلى مدى نصف قرن ، ظلت قائمة على اصرارهم على ضرورة الفصل الكامل بين مصر والسودان ، حتى ينفردوا بالجنوب بشكل خاص ، باعتباره بوابتهم الى مستعمراتهم الأفريقية •

ومما زاد من قناعة الجميع بهذه النتيجة « ذلك الصراع الحاد ، الذى بدأ ينشب علنا بين صفوف الحزب وأجنحته المختلفة ، عندما بدأ فى وضع مرشحيه فى الانتخابات ، وأخذ كل جناح فى الحزب ، يعمل كحزب داخل الحزب ، لفرض قائمة مرشحيه ••• وأخذ كل منهم يدعو ضد زميله ويقدم الدعوى ضده ، واشتد الخلاف الى درجة أفقدت كل مؤيد للحزب أمله فى امكان الفوز »(١٩٢)•

تدخلت الادارة البريطانية فى عملية الانتخاب ، وبذلت كل مساعيها

---

(١٩١) الشرق الأوسط : الصاغ صلاح سالم ، الحلقة ٧ بتاريخ ١٩٨٥/١٠/١٩ •

(١٩٢) الشرق الأوسط : الصاغ صلاح سالم والسودان ، الحلقة ٧ بتاريخ ١٩٨٥/١٠/١٩ •

فى مساعدة المنافسين لمرشحى الوطنى الاتحادى ، وتدخلت بشــكل سافر ، ضد المرشحين ، الذين خاضوا الانتخابات كاتحاديين ، فى دوائر الجنوب البالغ عــددها ٢٢ دائرة ، ســقطوا بالكامل فى الانتخابات • « وكان الاتحاديون يخشون ضياع كل الدوائر فى الجنوب ، وهى تمثل ربع مجموعة الدوائر كلها • وكانوا يعرفون أن الادارة البريطانيــة ، ستسعى لالحاق الهزيمة بمرشحيهم • ولذلك اتفقوا سرا مع ١٢ مرشحا جنوبيا ليتقدموا للانتخابات كمستقلين » • و « أن يخفوا صــفتهم الاتحادية • وفى الوقت نفســه ، وقع هؤلاء المرشــحون على وثائق انضمامهم سرا للحزب الوطنى الاتحادى ، ونجحوا كلهم — بهــذه الوسيلة — فىالانتخابات دون أن تتعرض لهم الادارة البريطانية هنالك بأى ضغط أو شر ، ودون أن تنقلهم الادارة البريطانية خارج دوائرهم الانتخابية ، الى مسافة بعيدة ، ثم تتركهم هنالك حتى يفوتهم الوقت المحدد ، لتقديم طلبات الترشيح والتصــويت ، وهــذا ما اتبعتــه مع مرشحى الوطنى الاتحادى »(١٩٣) •

ويروى الصاغ صلاح سالم ، مدى فرحة الحاكم العام ، عنــدما أعلنت نتيجــة انتخابات دوائر الجنوب : « ••• وليلة اعلان نتيجــة انتخابات دوائر الجنوب ، أعلنت اللجنة الدولية عدم فوز أى مرشــح اتحادى هناك ••• وجاء هذا الاعلان قبل اجراء انتخابات الشــمال بيوم واحد ، فهز الفرح الحاكم العام « روبرت هاو » ••• ولم يطق أن ينام قبل مقابلة مندوب مصر عبد الفتاح حسن ••• فاستدعاه فى نفس الليلة الى قصره ، وصافحه ، وكل خلجة من خلجات وجهه ترقص بشرا وسعادة ، من تباشير الانتخابات ، التى تبين مدى اندحار الفكرة الاتحادية فى ثلاث مديريات جنوبية كاملة ••• » قال سير « روبرت هاو » لبلتها ، لعبــد الفتاح حسن : « ألم أقل لكم أيها المصريون ، أنه لا يوجد أى نصير فى هذه البلاد لفكرة الاتحاد معكم فلم تصدقونا طويلا ، ونحن نطلعكم على الحقائق فى هذه البلاد ، وكنتم تظنون أننا

---

(١٩٣) الشرق الأوسط : الصاغ صلاح سالم والسودان ، الحلقة ٨ بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٢٣ •

نغرر بكم ••• ما رأيكم فى النتيجة التى أعلنتها لجنتكم الليلة ، حول نتيجة الانتخابات فى كل دوائر الجنوب »[١٩٤] •

كان عبد الفتاح حسن قد علم ، قبل وصوله لسراى الحاكم العام بدقائق ، بالبيان الذى أذاعه الحزب الوطنى الاتحادى فور اعـلان نتيجة الانتخابات هـذه ، والذى جـاء فيه نبأ فوز الحزب باثنى عشر مقعدا فى الجنوب ، وهؤلاء هم النواب الذين أخفوا اتحاديتهم وتقدموا كمستقلين، حتى يتفادوا ضغط الادارة • لذلك أجاب على الحاكم بمايلى: « ان حديث معاليك محتمل ••• ولكنى سمعت عرضا قبل وصولى الى معاليكم بدقائق بيانا صادرا من الوطنى الاتحادى يعلن فيه عين ما تقوله معاليكم • فبدت بعض الدهشة على ملامحه ورد ، بالعربية ، (دى كلام فارغ •••) « وصـمت قليلا ، وسـأل ماذا : قالوا ؟ فأجـاب عبد الفتاح حسن : « ان الحزب يقول فى بيانه أن ١٢ نائبا جنوبيـا أعلنوا انضمامهم اليه » •

فعلق الحاكم العام : « لاشك أنك تمزح ، فأنت عضو فى اللجنـة الدولية للانتخابات • ألم تسمع وتقرأ النتيجة الرسمية للجنة • التى نشرت وأذيعت ؟ فرد عليه : « يجوز أن الحزب غير جاد فى اعلانه هذا، وربما أراد أن يؤثر على الناخبين فى الدوائر الشمالية ، التى ستجرى فيها الانتخابات غدا »[١٩٥] •• وصافحه وانصرف •

أجريت الانتخابات فى الدوائر الشـمالية ، واكتملت النتـائج وكسب الوطنى الاتحادى أغلبيـة المقاعد • فقد نال ٥١ مقعدا ، ونال حزب الأمة ٢٢ مقعدا ، ونال الحزب الجمهورى الاشتراكى ٣ مقاعد ، والجبهة المعادية للاستعمار مقعدا واحدا ، ونال المستقلون ١١ مقعدا والجنوبيون ٩ مقاعد[١٩٦] •

لقد عكست الانتخابات مشاعر الشعب العدائية للحكم الاستعمارى

(١٩٤ ، ١٩٥) الشرق الأوسط : الصاغ صلاح سالم والسودان ، الحلقة ٨ بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٢٣ (اعداد محمد سعيد محمد الحسن) •

(١٩٦) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ص ٢٦٧ •

وكانت قاطعة الدلالة ، على الدور الذى لعبه الحزب الوطنى الاتحادى ، فى صراعه لتحقيق الاستقلال[١٩٧] . ولا غرو ، فقد كانت قيادات هذا الحزب تشكل وجدانا ورمزا بارزا للعمل الوطنى ، رغم ما كان بينهم من خلاف . فلولا دورهم فى توعية الجماهير ، وكشف أساليب الاستعمار ، والمناداة بجلائه ، والمطالبة بحياة أفضل ، لما انطلق نوعى ، وتفجر الحماس فى المدن والأرياف . لقد كان كل واحد منهم له تاريخ حافل معروف بين الناس[١٩٨] . لكن ما حدث فى مصر عام ١٩٥٤ ، كان له تأثيره على الوضع فى السودان . فأبعد اللواء محمد نجيب وخلاف الضباط الأحرار مع جماعة الاخوان المسلمين بمصر ، بسبب معارضتهم لبعض بنود اتفاقية « جمال — هيد » ، وتمثيلية المنشية (أكتوبر ١٩٥٤) ، التى انتهت بأعنف حملة على جماعة الاخوان ، لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلا[١٩٩] .

استفاد قادة حزب الأمة السودانى من هذه الأحداث ، خاصة بعد صدور قرارات محكمة جمال سالم باعدام ستة من قادة الاخوان المسلمين . فأعلنوا فى صحفهم « كيف يمكن لدعاة الاتحاد أن يقنعونا بجدوى الاتحاد مع هؤلاء ، الذين غدروا بنجيب ، وأصبحوا جلادين لكل من اختلف معهم فى الرأى ؟ . أيكون مصير السودانيين ، اذا اتحدوا مع مصر فى ظل هؤلاء الحكام ، أن يلقوا نفس المصير . الذى لقيه الاخوان فى مصر ؟ . هل الاختلاف فى الرأى يؤدى الى نصب المشانق ، وتيتيم الأطفال ، وترميل النساء ، والاعتداء على الحريات والحرمات ؟ ... وتساءلوا ، بعد حرق المركز العام للاخوان المسلمين فى مصر . ألا يوجد فى مصر قانون ؟ ألا يوجد فى مصر بوليس أو حكومة تمنع السلب والنهب ؟ . أليس فيها قضاء يحكم بين الناس

---

(١٩٧) محمد عمر بشير : تاريخ الحركة الوطنية فى السودان ص ٣٣٤

(١٩٨) الشرق الأوسط : الصاغ صلاح سالم والسودان ، الحلقة ٧ بتاريخ ١٩٨٥/١٠/١٩ .

(١٩٩) نوال عبد العزيز : دراسات فى العلاقات المصرية السودانية (٥٦/٥٤) وحسن العشماوى : الأخوان والثورة وحسين حمودة : اسرار حركة الضباط والاخوان المسلمون (الزهراء للاعلام العربى ، ط ١ : سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .

بالعدل ؟ »[٢٠٠] اننا نشفق على كياننا من التقليد ، خصوصا وبيننا من ينادى بالانضواء تحت سيطرة المجرمين ، وحكم السفاكين • ولكن لنا فى أخلاقنا النداء وفى رجولتنا الفداء •• أيها السودانيون : اتركوا لمصر النيل وما حوى ، واكتفوا بفيض السماء ، وابعدوا عن مصر ، فان حالها اليوم عنوان المذلة والهوان فى الأرض »[٢٠١] •

لقد أدت هذه الحوادث الى علو المد الاستقلالى بالسـودان • وبدأت التساؤلات فى الأندية والمجامع العلمية ، عن جدوى الاتحـاد مع مصر • وتساءلت الصحف السودانية ، وبالذات الاستقلالية ، مع من نتحد ؟ أنتحد مع من امتدت أيديهم الى خيرة رجال مصر ، الذين رووا بدمائهم أرض فلسطين والقناة ؟ أنتحد مع من كمموا الأفواه ، ونشروا الرعب بين صفوف شعب مصر الشقيق ؟ • لقد ترتب على كل هـذه الأحـداث ، تصـدع دعـوة وحـدة وادى النيل ، حتى أن الذى أعلن استقلال السـودان ، من داخل البرلمان السودانى ، كان هو رئيس الحزب الوطنى الاتحادى السيد اسماعيل الأزهرى[٢٠٢] •

كان الصاغ صلاح سالم قد وصل فى شهر أكتوبر الى الخرطوم، أى بعد معارضة الاخوان للاتفاقية ، واعتقال الآلاف منهم بحجـة أن هناك مؤامرة تدبر ضد حكومة الأزهرى ، من جانب عناصر سودانية لفصل الجنوب عن الشمال • وأنه جاء يطمئن بنفسه على سير الأحوال فى السودان • لكن غالبية الصحف السودانية لم ترحب به ، وتوجست الشر من وراء هـذه الزيارة ، وهاجمته هجوما عنيفـا ، وانفجـرت المظاهرات فى كل مكان بالسودان ، تهتف بسقوط الدكتاتورية العسكرية فى مصر ، وبسقوط صلاح سالم • وعبرت الجماهير عن هذا السـخط أثناء افتتاح نادى الخريجين بأم درمان ، بعد تجديده ، حيث كان هناك

---

(٢٠٠) النيل السودانية ، أول نوفمبر ١٩٥٤ •

(٢٠١) النيل السودانية ، ١٩٥٤/١٢/٩ العدد ٧٩٣٣ •

(٢٠٢) نوال عبد العزيز : دراسـات فى العـلاقات المصريـة — السودانية ٥٤/٥٦ ص ١٢٨ •

صلاح سالم • فهتفوا بسقوطه ، وسقوط الحكم العسكرى ، وأعلنوا رفضهم للوحدة مع حكومة العساكر(٢٠٣) •

ويبدو أن الحالة النفسية للصاغ صلاح سالم ، قد تأثرت بما رأى وسمع فى السودان • فقد سجلت صحف القاهرة أن جمال عبد الناصر زاره فى منزله بعد عودته من السودان مستفسرا عن صحته، ومتمنيا له الشفاء العاجل من الوعكة الطارئة التى ألمت به(٢٠٤) • يؤيدنا فى ذلك ما جاء فى نص البرقية ، التى بعث بها « رالف مرى » (القائم بالأعمال فى السفارة البريطانية بالقاهرة) ، الى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٥٤ ، وجاء فيها : « لم يسر الصاغ صلاح سالم ، الذى عاد أخيرا من زيارة قصيرة بالسودان بما وجده هناك ففى رأيه أن القضية لم تعد قضية المزايا النسبية لاستقلال السودان ، أو وحدته مع مصر • والواقع أنه لايحتمل أن تكون هناك فروق عملية كبيرة بين المفهومين • فاذا اختار السودانيون الوحدة فقد لا يعنى ذلك أكثر من اتحاد فضفاض ، يتعلق بالشئون الخارجية والدفاع ، ليس الا • فمصر فى وضع يسمح لها بمساعدة السودان ، فى علاقاته الخارجية ، ولا سيما من حيث التمثيل الدبلوماسى فى الخارج ••• أما فى المسائل الدفاعية ، فمجالات التعاون محدودة • اذ أن جيش السودان لا يعتد به كثيرا وليس هناك اتجاه الى دمجه مع الجيش المصرى • وأقصى ما يمكن الاتفاق عليه ، هو التفاهم على أهداف مشتركة ، الى جانب اجراء الاتصالات على مستوى الأركان •• وتمضى البرقية تقول : « أن الصاغ صلاح سالم ، قد أشار الى الوضع فى السودان بأنه رهيب ، وتكهن بحدوث مواجهة فى غضون ستة أو سبعة شهور »(٢٠٥) •

---

(٢٠٣) نوال عبد العزيز : دراسات فى تاريخ العلاقات المصرية السودانية ص ١٢٢ — ١٢٣ •

(٢٠٤) الأهرام بتاريخ ١٦/١٠/١٩٥٤

(٢٠٥) الشرق الأوسط بتاريخ ٩/٣/١٩٨٥ وثائق الخارجية البريطانية : السودان عام ١٩٥٤ البرقية ٢٠١ رقم ١٠٣١١/٧/٥٤ مصنفة « سرى » من رالف مرى القائم بالأعمال •• بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٥٤ •

ويمضى « رالف مرى » فى برقيته فيقول : « لا شك عندى فى أن الصاغ صلاح سالم يبذل كل جهده ، لاثارة الشعور بالفزع . بعد أن أدرك أن سياسة مصر تجاه السودان ، لم تعد عليها الا بأقل المكاسب على أنه من الواضح أن زيارته الأخيرة للسودان ، قد بددت أى أمل فى التوصل الى حلول سهلة ، على هدى السياسة المصرية السابقة . ومع أننى لست مستعدا لقبول هواجس الصاغ صلاح سالم على علاتها . فليس هناك شك عندى فى أن قلق مصر قد ازداد كثيرا ، مما يمكن أن تتمخض عنه التطورات الدستورية فى السودان . ولا يدهشنى أبدا ان تبين أن وزير الشئون السودانية ، قد بدأ يعيد النظر بجدية فى الموقف »(٢٠٦) .

لم تمر سبعة أشهر على هذا الاستقلال ، حتى قررت مصر تأميم « الشركة البحرية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية ، بعد أن سحبت الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولى موافقتهم على مشروع السد العالى(٢٠٧) .

وفى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ هجمت اسرائيل على مصر . وفى اليوم التالى، بينما كانت القوات الاسرائيلية تتوغل فى سيناء ، قدمت فرنسا وبريطانيا انذارهما الشهير الى مصر واسرائيل . وطلبت الرد خلال اثنتى عشرة ساعة ، والا فان قوات المملكة المتحدة وفرنسا ، سوف تتدخل بأى قوات ضرورية لضمان الاستجابة(٢٠٨) .

كان من الطبيعى أن ترفض مصر الانذار ، وتنفجر القتال بين الدول الثلاث المعتدية (بريطانيا وفرنسا واسرائيل) وبين مصر . وكان رد الفعل لهذه الأحداث قويا فى السودان . حيث انفجر مرجل الغضب لما أصاب شعب مصر . وكان ذلك على المستوى الرسمى والشعبى معا .

---

(٢٠٦) وثائق الخارجية البريطانية : السودان عام ١٩٥٤ (٢٦) برقية « رالف مرى » بجريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٥/٣/٩ .

(٢٠٧) حسين حمودة : اسرار حركة الضباط والأخوان المسلمون ص ١٢٠ .

(٢٠٨) راجع الصحف المصرية آنئذ (٢٩ و ٣٠ و ٣١ أكتوبر ١٩٥٦) .

فانفجرت المظاهرات ضد بريطانيا وفرنسا • وطالب المتظاهرون حكومة السيد عبد الله خليل ، بقطع العلاقات مع المعتدين[٢٠٩] •

وعقد أعضاء البرلمان السودانى جلسة طارئة ، ناقشوا فيهـا العدوان الثلاثى على مصر ، ونددوا بالمعتدين ، وطالبوا بقطع العلاقات مع بريطانيا[٢١٠] • وكانت حكومة السودان قد أعلنت فى بيان رسمى أصدره مجلس الوزراء السودانى ، استنكارها للعدوان ، على مصر • وأعلن فى نفس البيان أن مجلس الوزراء السودانى يوالى الاجتماع لمراقبة تطورات الموقف ، لاتخاذ ما يقتضيه الحال من اجراءات لازمة •

ثم قام مجلس الوزراء الســودانى ، بعـد ذلك بتنظيم أعمال التعبئة الشعبية ، لمساعدة مصر ، بعد أن لمس التأييد الشعبى الجارف لمصر وشعبها • فقرر ما يلى :[٢١١]

١ — تساهم الحكومة فى نفقات هذه الأعمال بالتبرع بمبلغ عشرين ألف جنيه ، كخطوة أولى •

٢ — تضع الحكومة تحت تصرف اللجنة القومية ، لغرض تدريب المتطوعين واعدادهم ، واقامتهم ، حتى قيامهم ، مبانى قشلاق عباس بالخرطوم ، وأى مبانى أخرى ملائمة فى المدن الأخرى •

٣ — تقدم الحكومة للشعب المصرى ، كل المساعدات الأخرى التى تستلزمها هذه الظروف العصيبة ، فى حـدود امكانياتها ، وذلك بالاتفاق مع السلطات المصرية بالسودان ، وأن الحكومة تدعو الشعب السودانى ، الى الاسراع بالتبرع السخى لهذه الأغراض النبيلة[٢١٢] •

---

(٢٠٩) الأمة والنيل السودانيتين بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢ ، كما نشرها الأهرام بتاريخ ١٩٥٦/١١/٣

(٢١٠) النيل والأمة بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٩ . ونشر ذلك الأهـرام بتاريخ ١٩٥٦/١/٢٠ .

(٢١١) الأمة والنيل بتاريخ ١٩٥٦/١١/٥ .

(٢١٢) الأمة والنبل بتاريخ ١٩٥٦/١١/٧ .

ويقول محمــد أحمــد محجوب وزير خارجية السودان ؛ وكان مندوبا عن بلاده فى دورة الأمم المتحدة آنذاك ، ولم يكن قد تم قبول السودان رسميا فيها ، أى لم تكن له مقاعد خاصــة • فوزع وفــد السودان على الوفود العربية ، كى يساهم على الأقل بطريقة غير مباشرة فى مناقشة حرب السويس • ويقول المحجوب : « كان رأى السودان الذى نقلناه الى الوفود العربية واضحا : ان السويس جزء من الأرض المصرية وتحت ســيادة مصر ، وشركة قناة الســويس بحكم قانون الأساس ، شركة مساهمة مصرية ، خاضعة للقوانين المصرية وللسلطة المصرية المطلقة • ان لمصر ، كدولة ذات سيادة ، حقا مطلقا فى تأميم شركة القناة • واذا ساء تأميمها حملة الأسهم ، سواء كانوا فردا أو دولا ، ففى استطاعتهم أن يلجــأوا الى المحــاكم المصرية طالبين التعويض القانــونى »(٢١٣) •

وبمجرد أن تم قبول السودان عضــوا فى المنظمة الدولية ، يوم ١٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، حمل المحجوب حملة شعواء على الدول المعتــدية فى هيئة الأمم المتحدة ، بعد أن قدم استعراضا مســتفيضا لتطورات القضية ، كمحام ، ثم أعلن ••• « أن الاعتداء الانجليزى الفرنسى على مصر لا يخص مصر فحسب ، لأنها أثرت وستؤثر على حياة وســعادة الخمســين مليــونا من البشر ، الذين يعيشــون فى منطقــة الشرق الأوســط »(٢١٤) •

كان ضباط الجيش السودانى قد كونوا هيئة عسكرية للاشراف على تدريب المتطوعين السودانيين • وكان ذلك يوم الأحد ٤ نوفمبر ١٩٥٦ • وأخذت هــذه الهيئة على عاتقها ، أن يكون التدريب بأسرع وأحدث برنامج عسكرى ، وأن تباشر بنفسها تسفير المتطوعين الى مصر بأسرع وقت مناسب • وأخذت الهيئة على عاتقها ــ كذلك ــ أن تتصل بالجهات المختصة للحصــول على اذن بفتح باب التبرعات ويســمى « مال تدريب الشعب السودانى للقتال » • وفى نهاية البيان ، رجعت

---

(٢١٣) م•أ• محجوب : الديموقراطية فى الميزان ص ٨٩ •
(٢١٤) م•أ• محجوب : نفس المرجــــــع ص ٩٠ •

هيئة الضباط القدامى من جميع الهيئات السودانية ، سياسية كانت أو غيرها ، بأن تحضر قوائم المتطوعين التابعين لها ، وتسلمها الى سكرتير هيئة المتطوعين بنادى الضباط بأم درمان فى أى وقت بين الساعة الثامنة صباحا والثامنة مساءا ، حيث يتم الاتفاق ، على ميعاد حضور المتطوعين ومحلات التدريب الملائمة(٢١٥) .

ثم وجهت هيئات عديدة نداءاتها للمواطنين من أعضائها مثل النداء الذى وجهته الجبهة الاسلامية ، الى لجانها الفرعية ، والى أئمة المساجد والى جميع أفراد الشعب السودانى ، لمد يد المساعدة لشعب مصر ، لنصرة قضيته ، التى هى قضية الاسلام والمسلمين فى كل مكان . وذلك بفتح باب التطوع والتبرع ، وفتح مراكز التـدريب والاشـتراك فى المعسكرات ، واقامة صلاة الغائب فى كافة مسـاجد السـودان ، على شهداء مصر الأطهار ، عقب صلاة الجمعة ، ومداومة الدعاء والتوجـه الى الله بالسؤال بالنصر للاسلام والمسلمين(٢١٦) .

ثم أصـدر اتحاد خريجى جامعة الخرطوم ، واتحـاد خريجى الجامعات المصرية ، ومؤتمر الخريجين العرب ، بيانه الذى يطالب فيه الحكومة والشعب الوحدة ، من أجل الوقوف مع شعب مصر ، لوقف المحاولات الاجرامية ، التى تقوم بها بريطانيا وفرنسا ، لاعادة احتلال مصر مرة أخرى ، وطالب باتخاذ ما يلى :

أولا : اعـلان التعبئـة .

ثانيـا : منع الطائرات البريطانية والفرنسية ، وطائرات الشركات التى تحمل جنود الأعداء وعتادهم من استعمال مطارات السودان .

ثانيـا : قطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسـا .

ثالثـا : ١ ـ تشديد المراقبة على الأجانب .

---

(٢١٥) الصحف السودانية الصادرة بتاريخ ١٩٥٦/١١/٧ .

(٢١٦) صحف السودان (النيل ـ الأمة ـ العلم ـ السـودان الجـديد) بتاريخ ١٩٥٦/١٢/١ « نداء » الجبهـة الاسلامية الى لجانها الفرعية والى ائمة المساجد .

٢ ـ ابعـاد المشبوهين .

٣ ـ اليقظة التامة فى تتبع الجاسوسية .

٤ ـ ابعـاد الموظفـين والمسـتشارين البريطـانيين والفرنسيين ، من جميع الوظائف التى يشـغلونها سـواء داخل الحكومة أو خارجها ، مع خراجهم من السـودان .

خامسا : تأمين مؤخرة الجيش المصرى ، بقفل حدود السـودان من ناحية الجنوب والشرق والغرب .

سادسا : تقـديم كل المساعدات الفعالة لمصر المجاهدة فى معركتها الحـربية(٢١٧) .

كذلك قام اتحاد المزارعين بالجزيرة ، باصدار بيان طالب فيـه المزارعين ، فى كافة أنحاء السودان بالوقوف بجانب الشعب المصرى فى محنته الحاضرة ، وذلك بجمع التبرعات ، والمبادرة بالتطوع ، عن طريق لجان الاتحاد الفرعية ، واللجنة المركزية بكافة القرى . واتخذ تحـاد المزارعين القرارات الآتية :

١ ـ تكوين لجان داخل الجزيرة ، لمعاونة اللجان الفرعية لجمع التبرعـات .

٢ ـ فتح دار المزارعين لايواء المتطوعين بناءا على رغبة لهيئـة الشعبية بمدنى .

٣ ـ الاتصال فورا بالمجالس الريفية لمساعدة اللجان فى عملها .

٤ ـ تناشد اللجنة الحكومة بقطع علاقاتها مع انجلتر وفرنسـا والتضامن مع الهيئات الشعبية السودانية(٢١٨) .

---

(٢١٧) النيل والأمة والعلم (بيان الى الشعب السودانى من خريجى الجـامعات المصرية والسودانية ، ومؤتمر الخريجين العرب) ، ديسمبر ١٩٥٦ .

(٢١٨) الأمة والنيل والعلم والاتحـاد والسودان الجديد بتـاريخ ١٩٥٦/١١/١٣ « نداء ورجاء من اتحاد المزارعين » .

ثم توجه أحـد الكشافين السودانيين القدماء ، وهو الأسـتاذ الشريف سليمان على ، بنداء على صفحات الجرائد يناشد فيها جميع الكشافين والجوالة فى السودان ، بالعمل على التبرع بيوم واحـد من مرتبهم الشهرى زائد غلاء المعيشة ، ويرسله بأسرع ما يمكن الى رئاسة الكشافة السودانية ، حتى يرسل الى اللجنة العليا ، لجمع مال التبرعات لمساندة الشعب المصرى الشقيق(٢١٩) .

كما قام اتحاد طلبة جامعة الخرطوم ، بتوجيه نداء ورجاء أيدهم فيه الزعيمين الكبيرين ، ورؤساء الأحزاب ، الى الشـعب السودانى الكريم ، يناشدون فيه كل مواطن سودانى ، باسم العروبة والاسلام والانسانية ، وواجب الشهامة والاخوة ، وباسم أيادى مصر البررة ، على بلادهم أن يقدموا كل ما فى وسعهم ، « لأسبوع الشعب المصرى » فى جميع أرجـاء البلاد وختم النـداء بالعبارات الآتية : « يا أبنـاء السودان عبروا بالعمل بوقوفكم بجانب جيش مصر وشـعب مصر . يا أبناء السودان قدموا التبرعات والمؤن والأغطية ، يا أبناء السودان لبوا نداء الشرف والعروبة والوطن والواجب ، يا أبناء السودان ان أسبوع المساندة سيفتتح يوم الأربعاء غدا فى جميع المدن والأرياف ، فلا تتخلفوا عن واجب الشهامة والرجولة »(٢٢٠) .

وفضلا عن ذلك ، قام حزب الأمة بارسـال برقيات احتجاج الى السفير البريطانى بالخرطوم ، والى رئيس مجلس العموم البريطانى ، والى زعيم المعارضة البريطانية بلندن ، والى الديلى هيرالد . وكان نص البرقية كالآتى : « يستنكر حزب الأمة الاعتـداءات الوحشيـة الظالمة على مصر عامة ، وعلى المستشفيات ودور العلم والأهالى الآمنين بصفة خاصة . ويناشـد الشعب البريطانى وحكومته ، ايقاف هـذا الاعتداء ، مؤكدا وقوف الشعب السودانى بجانب مصر المظلومة »(٢٢١)

---

(٢١٩) الأمة بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٢ .
(٢٢٠) الأمة ١٩٥٦/١١/٧
(٢٢١) النيل والأمة ١٩٥٦/١١/٥ .

ثم أصـــدر اتحاد ونقابات عمال الحكومة بيانا اســـتنكروا فيه الاعتداء على مصر ، وطالبوا بتكوين جيوش شعبية ، لنصرة شعب مصر فى نضاله المقدس ضد الغزو الاستعمارى ، وطالبوا العمال بتوحيـــد صفوفهم ، وتشـــكيل فرق منهم للتطوع والذهاب الى جبهة القتال ، ودعوا البرلمان لاصدار القوانين اللازمة لتنظيم حركة المقاومة ، لنصرة شـــعب مصر(٢٢٢) .

ثم تشكلت ، بعد ذلك ، هيئة عرفت بهيئة التضامن الشعبية مع مصر ، مثلت فيها الأحزاب والهيئات السودانية . كذلك قام اتحاد تجار القطاعى ، بمناشدة أعضائه تحطيم السوق السوداء ، وتوفير السلع الضرورية بأثمانها المحددة ، ومد يد العون للشـــعب المصرى والتطوع والجهاد ، والتبرع بالمال لنصرة اخوانهم المصريين(٢٢٣) .

ثم وجهت اللجنة الثقافية لاتحاد الشباب السودانى الدعوة لعدد من الأدباء والشعراء ، وقرروا عدة قرارات ، من أجل التضامن مع شعب مصر(٢٢٤) .

بعد هذا الموجز لهذه المواقف فى العلاقات المصرية السودانية ، يحق لنا أن نردد قول الأستاذ الكبير عبد الله محمد عمر البنا :

النيـــل وهـــو عذوبة　　يجرى بمرحمـــة وود
حق القـــرابة بيننـــا　　وأخو الكرامة غير حد
نرتاد خضرة شــــطه　　ونجل واديه ونغـــدى
ونشم عطـــر نسيمه　　معنى الحياة بماء ورد(٢٢٥)

---

(٢٢٢) النيل والأمة بتاريخ ١٩٥٦/١١/٥ (اتحـــاد نقابات عمـــال الحكومة يستنكر) .

(٢٢٣) الأمة بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٩ .

(٢٢٤) الأمة بتاريخ ١٩٥٦/١١/١٣ .

(٢٢٥) حسن نجيلة : ملامح من المجتمع السودانى .

وما يقوله الأستاذ حسيب على حديب :(٢٢٦)

ومـــا مصر والســـودان الا أشـــــقة
وليس لـــوادى النيـــــل أن يتفـــرقا

وان فـــرقتت ســــوء المطامع بيننـــا
فقـــد حـــان عهـــد الاتفـــاق وأرقـــا

ومـــا هى فى اســـتقلالها غير حـــارس
أمين لمجـــرى النيـــل حيث تدفقـــــا

ســـتدفع عن شـــعب الكنـــانة مثلمـــا
تزود الســـودان ســـــيفا ومنطقـــا

تم بحمـــد الله وتوفيقـــه

---

(٢٢٦) الأمة بتاريخ ١٩٥٦/١/١٦ . وقد نشرت هذه القصيدة عقب اعلان استقلال السودان .

أهم مراجـــع البحث

أولا ــ المراجع العربيــة :

وثائق ، ومضابط ومراسلات :

١ ــ **الامام محمد أحمد المهدى**

منشورات المهدى . دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

٢ ــ **وثائق المهــدية :**

(أ) مهــدية/صــادر/١٢ ــ ٥٠ من المهــدى الى النجومى وآخرين .

جماد آخر ١٣٠٢ هـ ــ دار الوثائق المركزية بالخرطوم.

(ب) مهدية/صادر/٦ ــ ٢٤ من الخليفة عبد الله لكافة أحبابه فى الله أنصار الدين وأهل البيعة ، ٥ محرم ١٣٠٣ هـ .

(ج) مهدية/صادر/٢٣ ــ ٢ ــ ٢٦٦ من الخليفة عبد الله الى الحسن محمد خليفة ، ١٨ رمضان ١٣٠٤ هـ .

(د) مهدية ١/٢/٧٣ من النجومى الى الخليفة عبد الله ٩ صفر الخير ١٣٠٦ هـ .

٣ ــ عريضــة السيد على المــيرغنى والسيد عبد الرحمن المهــدى وآخرين للحاكم العام ــ دار الوثائق المركزية بالخرطوم

٤ ــ مضابط مجلس النواب / الجلسة ١٢ ، أول أبريل ١٩٢٣ .

٥ ــ **رئاسة مجلس الوزراء :**

الســودان من ١٣/٢/١٨٤١ الى ١٣/٢/١٩٥٣ : « خطــاب مجلس الوزراء للمندوب السامى بتاريخ ١٢/٣/١٩٢٥ » .

٦ — خطاب وكيل حكومة السودان فى ١٩٣٨/٦/١٧ ، دار الوثائق المركزية •

٧ — **مؤتمر الخريجين :**

مذكرة مؤتمر الخريجين بشأن المعهد العلمى ، بتاريخ ١٩٣٩/٤/٢٠• دار الوثائق المركزية •

٨ — **مداولات اللجنة التنفيذية :** اجتماع رقم ١٠ بتاريخ ١٩٤٠/٢/٢٤ •

٩ — مداولات المؤتمر العام للخريجين ، بتاريخ ١٩٤١/١٢/١٩ •

١٠ — **وثائق قصر الحاكم العام :** وثيقة بعنوان « مصر والسياسة العامة فى السودان / ثورة الخرطوم » • نشرت بجريدة البلاغ المصرية ، عدد يوم ١٩٤٧/٤/٦ •

١١ — **وثائق الخارجية البريطانية :**

السودان عام ١٩٥٤ • نشرت بجريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٨٤/٣/٩ • وثيقة (برقية) ١٠٢١ رقم ٥٤/٧/١٠٣١١ ، مصنفة « سرى » ، من رالف مرى القائم بالاعمال البريطانى بتاريخ ١٩٥٤/١٠/٢٥ •

** **الكتب :**

١ — **ابراهيم الحاردلو**

الرباط الثقافى بين مصر والسودان • دار جامعة الخرطوم للنشر ، ط• أولى ، ١٩٧٧ •

٢ — **ابراهيم باشا فوزى**

السودان بين يدى غوردون وكتشنر • (جزءان) ، ١٣١٩ هـ•

٣ — **أحمد بن الحاج « كاتب الشونة »**

مخطوطة كاتب الشونة فى تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية • نشر الشاطر البوصيلى ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٦١ •

— كما نشرها الدكتور مكى شبيكة بعنوان « تاريخ ملوك السودان » •

٤ — **أحمد خير**

كفاح جيل (تاريخ حركة الخريجين وتطورها) • القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٤٨ •

٥ — **بشير محمد كوكو**

لمحات من تاريخ المجاذيب • الخرطوم ، ١٩٧١ •

٦ — **بوركهارت ، جون لويس**

الرحلة الى بلاد النوبة • ترجمة فؤاد اندراوس ، ١٩٣٩ •

٧ — **جعفر محمد على بخيت**

الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان (١٩١٩ — ١٩٣٩) • ترجمة هنرى رياض ، دار الثقافة ، بيروت ، نشر وتوزيع مكتبة خليفة عطية ، السجانة ، الخرطوم •

٨ — **حاجة كاشف بدرى**

وضع المرأة فى تاريخ السودان المعاصر • رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة — فرع الخرطوم •

٩ — **حسن العشماوى**

الاخوان والثورة ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة •

١٠ ــ محسن مكى

السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان • ط • المركز الاسلامى ، الخرطوم •

١١ ــ حسين أحمد محمد حمودة

أسرار حركة الضباط والاخوان المسلمون • الزهراء للاعلام العربى ، القاهرة ، ط • أولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ •

١٢ ــ خضر حمد

الاستقلال وما بعده « مذكرات عن الحركة الوطنية » • بيروت ، ١٩٨٠ •

١٣ ــ درديرى محمد عثمان

مذكراتى •

١٤ ــ رأفت غنيمى الشيخ

مصر والسودان فى العلاقات الدولية • عالم الكتب ، ١٩٧٩ ، « مكتبة الدراسات التاريخية والعلاقات الدولية » •

١٥ ــ الرحالة فى السودان

رحلة برون روليه (١٨١٠ ــ ١٨٥٨) •

١٦ ــ زاهر رياض

تاريخ السودان المعاصر • القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية •

١٧ ــ سليمان كشه

محاكمات اللواء الأبيض • ط • ثانية ، نوفمبر ، ١٩٦٩ •

١٨ — **الصـادق المهـدى**

أضواء على تاريخ السودان • نسخة بدون غلاف • موجودة فى مكتبـة جامعـة القـاهرة — فـرع الخرطـوم •

١٩ — **الصـادق المهـدى**

مذكرات السيد عبد الرحمن المهدى بعنوان « الجهاد فى سبيل الاستقلال » • نسخة بدون غلاف ، موجودة بجامعة القاهرة فرع الخرطوم •

٢٠ — **ضرار صـالح ضرار**

تاريخ السودان الحـديث • ط • ثالثـة ، الدار السودانيـة للكتب ، الخرطوم ، ١٩٧٥ •

٢١ — **عبد الرحمن الرافعى**

عصر محمد على • مكتبة النهضة المصرية ، ط • ثالثة ، ١٩٥١ •

٢٢ — **عبد الرحمن الرافعى**

فى أعقاب الثورة المصرية • مكتبة النهضـة المصرية •

٢٣ — **عبد الرحمن الفكى « العميد »**

تاريخ قـوة دفـاع السـودان • الدار السودانيـة للنشر ، الخرطوم ، ١٩٧١ •

٢٤ — **عبـد العزيز عبد المجيـد**

التربية فى السودان (جـزأن) • وزارة المعـارف المصرية ، ١٩٤٩ •

٢٥ — **عبد العـزيز كامـل**

فى أرض النيل • عـالم الكتب ، القـاهرة ، ١٩٧١ •

٢٦ ـ عبد القادر محمود

الفكر الصوفى فى السودان • دار الفكر العربى ، القاهرة • ١٩٦٩/١٩٦٨

٢٧ ـ عبد اللطيف بغدادى

مذكرات عبد اللطيف بغدادى • (جزآن) • المكتب المصرى الحديث • القاهرة •

٢٨ ـ عبد المجيد عابدين

تاريخ الثقافة العربية فى السودان • القاهرة ، ١٩٥٣ •

٢٩ ـ عبد الوهاب أحمد عبد الرحمن

توشكى « دراسة لحملة التجومى على مصر » • طبعة دار جامعة الخرطوم للنشر •

٣٠ ـ عز الدين الأمين

قرية كترانج وأثرها العلمى فى السودان • طبعة معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ، الخرطوم (كراسة رقم ٩ ، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) •

٣١ ـ مبارك الريح

ثورة ١٩٢٤ السودانية • مركز الثقافة المصرى بأم درمان •

٣٢ ـ محجوب زيادة

الاسلام فى السودان • سلسلة اقرأ ، دار المعارف ، مصر •

٣٣ ـ محجوب محمد صالح

الصحافة السودانية فى نصف قرن • جـ ١ ، دار الطباعة قسم التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم ، ط • أولى ، ١٩٧١ •

٣٤ — محمد ابراهيم أبو سليم

تاريخ الخرطوم • بيروت ، ١٩٧١ •

٣٥ — محمد أحمد شلموق

من هوامش الثورة والسياسة • الخرطوم •

٣٦ — محمد أحمد محجوب وعبد الحليم محمد

موت دنيا • مطابع دار أخبار اليوم ، القاهرة ١٩٤٦ •

٣٧ — محمد أحمد محجوب

الحكومات المحلية •

٣٨ — محمد أحمد محجوب

الديموقراطية فى الميزان • دار النهار للنشر ، بيروت ، طبعة ثالثة •

٣٩ — محمد عبد الرحيم

الصراع المسلح على الوحدة فى السودان ، والحقيقة فى حوادث ١٩٢٤ • مطبعة كلوتبك ، القاهرة •

٤٠ — محمد عبد الرحيم

محاضرة عن العروبة فى السودان • ألقيت بالقاهرة يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٣٥ ، طبعة المطبعة التجارية الجديدة الخرطوم •

٤١ — محمد عبد المجيد السراج

ارشاد السارى لتراجم آل عيسى بن بشارة الأنصارى • طبعة أولى ، مطبعة النهضة السودانية ، الخرطوم ، ١٩٥٥ •

٤٢ — **محمد عمر بشير**
جنوب السودان . ترجمة أسعد حليم .

٤٣ — **محمد عمر بشير**
تاريخ الحركة الوطنية فى السودان (١٩٠٠ — ١٩٦٩) . ترجمة هنرى رياض ووليم رياض والجنيد عمر ، مراجعة دكتور نور الدين ساتى ، الدار السودانية للكتب ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ .

٤٤ — **محمد فؤاد شكرى**
مصر والسودان « تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر » (١٨٢٠ — ١٨٩٩) . دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٧ .

٤٥ — **المقريزى ، تقى الدين أحمد (ت ٨٤٥ هـ)**
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . المعروف بالخطط المقريزية . ط . مكتبة احياء العلوم ، لبنان ، ١٩٥٩ ، جزءان وطبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ جزءان ، وطبعة النيل بمصر ، ١٣٢٥هـ أربعة أجزاء .

٤٦ — **مكى شبيكة**
السودان والثورة المهدية . دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٨ .

٤٧ — **مكى شبيكة**
السودان عبر القرون . دار الثقافة ، بيروت .

٤٨ — **نعوم شقير**
جغرافية وتاريخ السودان . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٤٩ — **نوال عبد العزيز مهدى راضى**
دراسات فى العلاقات المصرية — السودانية (١٩٥٤/١٩٥٦) ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

٥٠ — **ود ضيف الله ، الفقيه محمد نور الدين**
طبقات ود ضيف الله فى أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان • تحقيق يوسف فضل ، الخرطوم ١٩٧١ • وطبعة منديل ١٩٣٠ •

٥١ — **نيوبولد**
(السكرتير الادارى لحكومة السودان ورئيس مجلس كلية غردون بالخرطوم) •
مذكرة المستر نيوبولد فى ١٥/١١/١٩٣٩ نشر فى كتاب الرباط الثقافى لابراهيم الحاردلو برقم S.A. 17 D 3 بعنوان :
Egyptian Secondary School.

٥٢ — **يونان لبيب رزق**
السودان فى المفاوضات المصرية — السودانية • المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٤ •

** المقالات والأبحاث

١ — **حسن نجيلة**
مقال بمجلة العلم ، العدد الأول ، فبراير ، ١٩٦٧ ، السنة الأولى •

٢ — **خديجة زروق**
ترسانة الخرطوم البحرية • مجلة الوثائق ، العدد الخامس ، ١٩٧٥ •

٣ — **خديجة زروق**
التجارة والنقل النهرى • مجلة الوثائق،العدد السادس ، ١٩٧٦ •

٤ — **محمد ابراهيم أبو سليم**
الطباعة فى المهدية • مجلة الخرطوم ، العدد ١٢ ، ١٩٦٧ •

٥ ـ محمد سليمان

مقال منشور بجريدة القلم السودانية ، عدد يناير ١٩٦٨ .

***** الصحف :**

١ ـ جريدة الأمة « سودانية »

٢ ـ جريدة الأهرام « مصرية »

٣ ـ جريدة الأيام « سودانية »

٤ ـ جريدة السودان الجديد « سودانية »

٥ ـ جريدة الشرق الأوسط : الصاغ صلاح سالم والسودان . مذكرات ، اعداد محمد سعيد محمد الحسن .

٦ ـ مجلة الفجر « سودانية »

٧ ـ جريدة النيل « سودانية »

المصـــادر الأجنبيــة

١ — الوثائق والتقـــارير Reports & Documents

1. Director of Intelligence :
The Sudanese Mutiny at Khartoum (10/12/1924).

2 .Ewart :
Report of Special Committe Commisioned in 1925 to require into political Organization in the Sudan Culminating in 1924 Disturbances.

3. Governor General's Report : Palace 1899 — 1908 — Palace 4/11.

4. Henderson, K. D. D.
Fung Origines. S.N.R.. XVIII, Part 1, 1933.

5. Nadler, L. F.
Fung Origines. S.N.R. XIV, 1931.

6. Neopold (Secretary General A.)
Report of Egyptian Secondary School. No. S.A. 17 D 3

نشرها ابراهيم الحاردلو فى كتـــابه الرباط الثقـــافى بين مصر والسودان .

7. Northern Governer's Meeting.
December, 1934, North. 1/16 & 1938, North. G.M.

8. Palace Record of Conference held in the Room of Secretary of State at the foreign Office. On August, 13th 1924.

أورنيك رقم ٦ بدار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

9. Paul, A. : Some Aspects of the Fung Sultanate S.N.R. XXXV, 1954.

10. S.G.A : دار الوثائق المركزية بالخرطوم
Civil Secretary to Governors and heads of Departments on 28/3/1938.

11. S.G.A. :
Note by Edward Attiya on Political History of Sudan (1924 — 1931).

نشرتها جريدة البلاغ المصرية يوم ٣٠ مارس ١٩٤٧ .

12. **S.G.A. :**
Political Memorandum on the Anglo—Egyptian Sudan. June, 1935 Northern Provice 1/15.

13. **S.G.A. :**
Sudan Intelligence Report. 20 July, 1924.

14. **S.G.A. :**
Sudan Intelligence Report. No. 298 May, 1919

15. **S.G.A. :**
Sudan Monthly Record. April. 1938.

16. **S.G.A. :**
Summary of Events in the Sudan. August, 9th., September, 1924.

17. **S.N.R. :**
Story of Suakin, XIX, 11, 1930.

18. Sudan General Finance and Department, 1907.

Book in Foreign Languages **كتب باللغـات الأجنبيـة :**

19. Bruce, J. :
Travels to Discover the Source of the Nile in the Years 1768 — 1773 (2nd. Ed.) . 1805.

20. **Burckhardt, J. L.**
Travels in Nubia. London, 1819.

21. Cromer, E. P.
Modern Egypt. Part III.

22. Duncan, J.S.R.
The Sudan's Record of Achievement, 1952.

23. Haskins, Halford.
The Middle East Problem Area in World Politics. N.Y., Mcmillan Co., 1942.

24. Henderson, K.D.D.
The Making of Modern Sudan. London, 1953.

25. Hill, R.
Bibliography Dictionary of the Anglo—Egyptian Sudan.

26. Holt, P. M.
The Mahdist in the Sudan 1881 — 1898.

27. Lioyed, Lord G.
Egypt Since Cromer.

28. Mekki. Sh.
The Independent Sudan. N.Y. Robert Spiller & Sons Publishers.

29. Mc-Michael, Sir Harold
Anglo—Egyptian Sudan (1934).

30. Mohammed Omar Bashir
Educational Development in the Sudan (1898 — 1956). Oxford, 1969.

31. Wingate, R.
Mahdism and the Egyptian Sudan. London, 1801

رقم الايداع بدار الكتب٧٣٧٦/١٩٨٥